

جعفر الخليلي

لمحة من رحلة العمر في حياة صيدح من خلال اشعاره

بقلم جعفر الخليلي

* * *

لقد سبق لي وانا استعرض احد دواوين الشعر لاحد الشعراء ان قلت بان شعر الشاعر او نثر الناثر لا يصلح ان يكون عنوان صاحبه الا ما ندر ، فالكثير من الشعراء والكتاب تتباين آثارهم الادبية وما جبلوا عليه من خلق ، وتتنافر وما يحملون من نزعات وافكار دلت على تنافرها التجارب ، واذا ما تسنى لاحدنا ان يتعرف عن كثب باحد الشعراء او الكتاب من هذه الاكثرية ليدهش مما يجد من البون الشاسع بين ما استنتج من شعر ذلك الشاعر ونثر ذلك الكاتب ، وما وقف عليه بنفسه من الاخلاق التي قد تخرج صاحبها من حظيرة الانسان وطبيعته وتلصقه ببعض الحيوانات كالذئاب والثعالب وغيرها ، ولولا هذا النادر من ائمة الادب الذين تعبر آثارهم الادبية عن حقيقتهم لما صح ان يتخذ من شعر شاعر مثلا يحتذى به ، ويستدل على قيمته وحقيقته .

ومن هذا النادر الذي تنطبق آثاره القلمية على واقعه انطباقا كليا يأتي جورج صيدح في المقدمة ، هذا بالاضافة الى ما طبع عليه من رقة الشعور ، ورهافة الحس ، وعلو الكعب في الفن الذي يحكيه نسجه ، ويصوره وضع قوافيه في مواضعها التي لا يحسن وضعها الا الشاعر الملهم الموهوب المتفنن الذي سيأتي الحديث عن شاعريته في غير هذه الفرصة .

وقد عرف القراء ــ ولا سيما الادباء منهم ــ شعر صيدح ، فاكبروا فيه نبوغه ، وعظيم قدره في صياغة الكلمة ، اما الذين عرفوا « صيدح » عن قرب فقد اعجبوا به انسانا تتمثل كل معاني الانسانية في سيرته ، وسلوكه ، ومذهبه في دنياه ، فلا عجب ان يكون صيدح من تلك الفئة القليلة التي تحكي آثارهم حقيقتهم ، ويمثل شعرهم واقعهم ، وتصور اخيلتهم افكارهم بكل خطوطها والوانها ، وتحكي الجانب المهم من رحلة العمر عندهم بدون زيادة ونقصان .

ولد صيدح في دمشق سنة ١٨٩٣ فيكون الان قد انهى الثمانين ، والحمد لله انه ابعد ما يكون اليوم عن انطباق المثل القائل :

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

فهو يسمع جيدا وبأذن مرهفة ، لقد ولد من ابوين فاضلين وكان ابوه حاكما من حكام العدل ، وانهى دراسته في كلية عينطورة بلبنان ولحق باهله في مصر ليعمل هناك في التجارة وكان ذلك في سنة ١٩١١ .

ولقد سبق لصيدح ان عرف نفسه في كثير من الدواوين والصحف في المهاجر والاوطان العربية من الشرق والغرب كان اولها مجموعته الشعرية التي اصدرها باسم « النوافل » وهي ديوان يجمع بواكير شعره ، وكان رأيه فيه فيما بعد رأي المرحوم عبد القادر المازني في ديوانه الاول ، فقد سطا على ديوان المازني بعد سنين طويلة مدع طويل اليد ، وبدأ يستخرج منه ابياتا وينشرها باسمه في الصحف !! فقيل للمازني : لماذا انت ساكت عن هذا الدعي السارق وقد كاد ان ينتحل كل شعرك في ديوانك ؟

قال المازني : هذا ديوان آل به الفشل يوم اصدرته الى ان يلف به البقالون الجبن والزيتون ، فلماذا تريدون ان تذكروني به ؟ وانا لم أر « النوافل » لاقول عنه شيئا ، ولكني اعلم ان صيدح يتجنب اليوم ذكره كما تجنب المازني ذكر ديوانه ! على الرغم من ان « النوافل » قد خص ريعه بالفلسطينيين وانه نفدت نسخه ولم تبق منه حتى ولا نسخة واحدة ، والغريب ان لي انا قصة باسم « التعساء » كتبتها وطبعتها وانا ابن ست عشرة او سبع عشرة سنة ، وانه ليعتريني اليوم الخجل منها كلما ذكرتها واود لو لم اكن قد كتبتها .

ثم خرج لصيدح بعد ذلك ديوانه الفخم « حكاية مغترب » الذي عبر عن شاعريته الفياضة في مختلف المناسبات خير تعبير ، وحكى صيدح في نزعاته وافكاره وتفننه في قصيده خير حكاية ، وصور رحلة حياته خير تصوير ، كما صدرت له كراسات مستقلة باسم

« نبضات » وباسم « شظايا حزيران » و « شظايا ايلول » وهاتان الاخيرتان كانتا من وحي محنة فلسطين ونكبتها .

وقد كثرت بعد ذلك الحوادث والعوارض والمناسبات الوطنية والاجتماعية والانسانية التي تشمل العرب بمجموعهم ، او تشمل الحكومات العربية ، والحكومات التي سببت للعرب هذه النكبات ، او مما تخص حياته نفسه ، وحياة الاهل والاصحاب والاخوان من فرح او ترح ، ومن سعادة او شقاء التي تهز الشاعر هزة دونها هزة الموج الصاخب للسفينة ، فاندفع جورج صيدح يعبر عن تلك الخواطر والانفعالات بالقصائد والمقاطيع الشعرية حتى اجتمع لديه اضعاف ما كان قد طبع من الشعر من قبل ، لذلك ارتؤي باقتراح طائفة من عارفي فضله ـ وانا من بعضهم ـ ان يعيد صيدح النظر في طبع ديوانه من جديد ليضم ما سبق ان ضمت دواوينه من قبل وما لم تضم من شعره الذي يؤلف الاكثرية في مختلف ابوابه واغراضه ، وقد تألف من كل ذلك ديوانه الجديد المؤلف من اربعة اجزاء ، والذي صدر منه الجزء الاول اليوم ، وتسنى لي ان اشرف على اخراجه بالمشاركة مع الدكتور صلاح الدين المنجد من حيث اختيار الورق ، وتعيين نوع الحروف ، وكيفية صفها ، ثم ارغمت على مغادرة بيروت قبل ان يتم طبع هذا الجزء ، ومن هذا الجزء وما بعده من الاجزاء الثلاثة ـ اذا ما تم طبعها ـ سيعرف القارىء عن جورج صيدح اهم ما ينبغي ان يعرف ، وستحمله هذه المعرفة حتما على التشوق لرؤيته ، والتعرف اليه عن كثب .

ولما كان لكل مثل من نقيض فسيجد القارىء في صيدح ـ اذا كتب له ان يرى صيدح ـ خير نقيض للمثل القائل « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه » وسيؤخذ برائيه بدماثة خلقه ، ورقة حواشيه ، وطهارة نفسه، وسيتحقق بنفسه ان ما قرأه في هذا الديوان قد رآه بكامل حقيقته رؤي العين ، وان ليس لصيدح بالمعيدي من صلة اسما او رؤية .

واذا بدأ القارىء بالجزء الاول من ديوان صيدح فكأنما يبدأ باول مواجهة صيدح للحياة العملية والادبية، وهي التي ستبين له من خلال اشعاره جلية واضحة ، اما شعر صيدح ومكانته بين الشعراء فله حديث آخر غير هذا المقال الذي اقتصر على لمحة من رحلة عمره من خلال اشعاره .

والجزء الاول هذا معنون « بحكاية مغترب مع بني قومه » وهو يتناول فصلين احدهما يخص شؤون اغترابه والبواعث التي حملته على قول الشعر وهو يجوب تلك الافاق تاجرا وسائحا يرتاد مجالس الشعراء ، ويحضر منتدياتهم في مهاجرهم ، ويستجيب دعواتهم ، وما يتبع ذلك من ذكريات واسباب استدعته الى نظم الشعر منذ سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٧٢ حين تم طبع هذا الجزء من الديوان .

والفصل الثاني من هذا الجزء يتناول شؤونه الخاصة بين اسرته وتصوير عواطفه نحو أمه ، وزوجه ، وابنته ، وحفيديه وغير ذلك .

وحين يترك صيدح سوريا متجها الى مصر ، يودع دمشق بقصيدة يبثها فيها حنينه وينشدها فيما ينشد قوله :

وداعا دمشق الشام، لو ترفق النوى ... لاورق عودي فيك وانعقد الزهر
واني لطير من طيورك لم تزل ... تجاذبني تلك الحدائق والنهر

ويعمل في مصر بالتجارة ويوفق ، ويمتلىء شبابه بالمغامرات ، ويملك سيارة خضراء يوم كان الحصول على عربة يجرها حمار لا يخلو من صعوبة ، وله قصيدة رائعة من الادب المكشوف في مصر لم اعثر عليها في هذا الجزء ولعله حذفها من هذا الجزء من الديوان ليثبتها في الاجزاء الاخرى او انه رأى من المناسب ان يتجاهلها بالمرة ، ثم اصيب بخسارة فادحة في تجارته بعد ذلك التوفيق ، ومع ذلك فقد قال عن مصر :

فما انا راض عنك ان حفني الغنى ... ولا انا ماض عنك ان عضني الفقر

ولكنه مضى عنها اخيرا ، واضطر الى الهجرة منها سنة ١٩٢٥ قاصدا اوروبا ، وعبر عما اصابه من الخسارة التي ذهبت بكل ما كان يملك بقصيدة فاخرة عنونها « بالتاجر الخاسر » وهي تحكي جانبا من عزة نفسه وابائه نلتقط منها هذه الابيات على غير ترتيب :

زاهرا كان نجمه ... فهوى النجم وادلهم
نازحا كل زاده ... عزة النفس والالم
ما أزالت اباءه ... عندما زالت النعم
دونكم ما له فلا ... تذكروا عرضه بذم
ان تظنوه مذنبا ... فاجعلوا ذنبه الكرم
ان حبست الدموع ... كبرا بكى القلب والقلم

ومع ذلك فقد قال عن مصر التي احبها :

انما العيش نائيا ... عنك يا مصر كالعدم

وتضيق به الدنيا بعد خروجه من مصر ويخيب في عمله ويعبر عن ذلك في قصيدة عصماء يقول فيها :

ثقلت على نفسي الحياة ... وضاق فيها المذهب
لا مال ، لا آمال ، لا ... هدف يلوح فاطلب

وفي نيس بفرنسا يحس بالوحشة والغربة فتهيج شاعريته في قصيدة يصور بها حنينه الى موطنه والى الايام التي قضاها بمصر فيقول :

اين اخواني واين الصحب أين ؟ ... اين اهلي ؟ اين أمي وأبي
اين ايامي بارض الهرمين ؟ ... ليس لي في غيرها من ارب

ثم يمم اميركا الجنوبية عابرا المحيط الاطلسي الى « فنزويلا » وينزل « كراكاس » ، ويوفق هناك في عمله توفيقا باهرا ، وقد اصبح له شأن كبير بين الجالية العربية من لبنانيين وسوريين وغيرهم ، وينقل لي الاستاذ رامز مكارم الذي لا يزال يقيم بفنزويلا وهو ابن اخ الشيخ نسيب مكارم الخطاط الكبير : بان ما من

مشكلة لاحد من الجوالي الا وكان حلها على يد صيدح هناك ، وقال : انه كان له لدى الحكومة الفنزويلية مكانة محترمة طالما خلص بسببها الكثير من السجن ، بل كثيرا ما دفع من كيسه الغرامة وخلص الغريم من غرمائه .

وحين اقبل صيدح على « كراكاس » سنة ١٩٢٧ استبشر خيرا منذ اول وصوله اليها وقال فيما قال :

وكان الصباح ، وكان الاقاح   يزين البطاح بعقيانه
وكان النسيم نديا رخيم   يرف النعيم باردانه
فحط الرحال بارض الجمال   كأن المثال لاوطانه

وبدأت تظهر مزايا صيدح في فنزويلا يوما بعد يوم لا كشاعر من كبار الشعراء المبدعين فحسب ، وانما بما كان يبذل وينفق في مساعدة المشاريع ، وما يقدم من معونة للمعوزين من العرب الذين لم يوفقوا في اعمالهم ، فيعالج مرضاهم على حسابه ، وينفق على دراسة ابنائهم ، ولم يزل حتى اليوم يعمل مثل هذا وهو بباريس وليس لديه الا ما يكفيه مؤونته من دنياه ، ذلك لان صيدح لا يقيم وزنا للمال ، وطالما اشار بشعره الى ذلك وصدقته التجربة والخبرة من لدن عارفيه ، ومن هذا ما قاله وهو في فنزويلا والمال يفيض من بين يديه :

نفرت روحي من الروح التي   في محيطي وأبت كل اتصال
حولي الناس الى المال سعوا   وانا اسعى الى قنص خيال

وقنص الخيال هذا لا يعني الشعر بقدر ما يعني الفضيلة ومكارم الاخلاق عند صيدح ، ويتاح له وهو في فنزويلا ان يقوم برحلات واسعة استجابة لدعوات تلقاها من معارفه الادباء ، ومن الشعراء من الجوالي العربية الذين تضمنت قصائده واشعاره ذكرياتهم ، وكان في ضمن هذه الرحلات رحلته الى الولايات المتحدة مدعوا لزيارة « معرض دنيا الغد » بنيويورك فيرحب به الادباء ويكرمونه ، وينشر له ايليا ابو ماضي في جريدته « السمير » احدى قصائده ويكتب عنه قائلا :

« اخذت بابل الجديدة بعد ان لبست حلاها وجواهرها بل حلى العقل البشري الجبار بالمعرض الذي قام فيها تجتذب اليها الناس من كل قطر حتى الشعراء الذين يهربون من المدائن ليكونوا مع انفسهم ، ومع الالهام ، فقد جاء الى نيويورك من كراكاس – فنزويلا – صديقنا الشاعر الملهم صاحب القصائد الرائعة جورج صيدح مع قرينته المهذبة انطوانيت وطفلتهما الجميلة « جاكلين » التي نشرنا له فيها قصيدة من اجمل الشعر ، وهو يشير الى قصيدة صيدح في عيد ميلاد ابنته .

ويذهب ابو ماضي في تعليقه ويقول : « وهذا البلبل (الصيدح) من اكابر شعراء العربية في المهجر على قلة نظمه – ويومذاك كان صيدح قد شغلته التجارة عن النظم – له قصائد خالدة اشهرها قصيدته « في غابة بولونيا » – وسيأتي حديثها فيما بعد عند البحث عن شاعرية صيدح – وعلى رغم الهجر والترك لم تفقد شاعريته لمعانها » .

ويستمر ابو ماضي فيقول : « وشد ما كان ابتهاجنا عندما دخل صيدح الى ادارة « السمير » فجأة ، فرأيناه لا يزال في ثوب الشباب والقوة ، وقد عرفنا منه انه سيلبث في نيويورك مع اسرته شهرا ثم يسافر الى باريس للسياحة والنزهة ، وسيقرأ الناس له في « السمير » في وصف نيويورك وايامه فيها منذ عشر سنوات ثم في حياة المهاجر القائمة على الكفاح والتناحر ، فنرحب بالشاعر الملهم الصديق المحبوب » .

واقيمت لصيدح حفلة تكريم بنيويورك من لدن الجامعة العربية كان ابو ماضي من القائمين بها ، والقى صيدح فيها قصيدة عامرة عبر فيها عن خوالجه الصادقة بحب العرب والعروبة ، ونزعاته الخفاقة بالاشواق فيقول وهو يخاطب المكرمين له من الادباء :

كم زرتكم فكرة والنفس في شغف   الى التعارف والاشواق تصبيها
حتى ظفرت بايديكم تصافحني   وتنثني وفؤادي في مثانيها
هي العروبة في انقى مظاهرها   هي المروءة في ارقى مجاليها

ويقلع من نيويورك الى باريس ويودعها او قل يودع الشعراء الذين اغنوا الشعر العربي بالجديد من افكارهم ومعانيهم ، وعلى راسهم ابو ماضي ، ورشيد ايوب بقصيدة ينظمها في الباخرة ، ثم يعود من باريس الى فنزويلا ، وتتوسع تجارته ، ويبسط كفه كل البسط في مساعدة العاملين من اجل فلسطين ، والعاثرين في دنياهم ، والفاشلين في اعمالهم والمعوزين في حياتهم ، ويفوز منه الادباء والصحافيون ، والباحثون والكتاب باكبر نصيب من مساعداته لانجاز مهماتهم .

ويلمع نجم صيدح ، ويتردد اسمه بين جميع الجوالي العربية في كل المهاجر الاميركية والافريقية ، ويعبر الى البلدان العربية ، وان شخصية تبلغ مثل هذا المقام في عالم الشهرة من حيث الشعر والادب ، والسخاء والكرم ، ودماثة الخلق لا بد وان تخلق لها منافسين وحاسدين ، وكائدين ، وهذا هو الذي وقع تماما ، وكان على صيدح ان يتخذ الحيطة لنفسه فلم يفعل فاكتوى بنار الخيانة والفتن ولفقت عنه وشايات ملأت صدر الحكومة غيظا ، واتسع الخرق ، واشتدت الازمة بسبب ائتمار خصومه به وحلت الكارثة التي ذهبت بالكثير من ماله ، ونكدت له عيشه ، وضيقت عليه حريته حتى اضطر الى ان يصفي اعماله التجارية بعد قضاء عشرين سنة من العمل المضني المتواصل وغادر كراكاس مصورا ما حل به في قصيدة باسم « المحنة » نشرتها له جريدة « السمير » في سنة ١٩٤٣ جاء فيها :

ان رأيت الحق يخشى باطلا   وسمعت الحمد للجور المشين
فاهجر الدار وجانب اهلها   لا يقيم الحر بين الخانعين

ويعلق ابو ماضي على هذه القصيدة ويقول :

« هذه القصيدة المحرقة الكاوية التي جاءت مجردة

من كل تعليق او اشارة او تفسير وهي التي اشرنا اليها امس ، هذه ليست قصيدة ولكنها حكاية مأساة هائلة فظيعة نزلت بالشاعر ، فان من قرأ شيئا من قبل لناظمها الشاعر المبدع جورج صيدح او عاشره ولو قليلا يعرف ان الشكوى ليست من طبعه ، وان اجفانه ابخل ما تكون بالدمع ، ولكنه في هذه القصيدة يشكو شكوى مريرة هي اشبه بصراخ أسد طعين او نسر جريح ، هو صراخ الكريم غدر به لئيم ، وشكوى محسن قوبل على جميله بالعقوق والاساءة ، وهي كذلك شكوى نفس رفيعة راقية مشى اليها اللؤماء بالنكاية ، وداروا حولها بالوشاية ، فكدروا مشربها ، ونغصوا عيشها ، وكم اتت الاساءة من اللؤماء وكان ضحاياها الابرياء .

ويسوء « السمير » التي كانت تعلل النفس بالحصول على قصيدة ضاحكة راقصة من هذا الشاعر الفذ ان تحمل اليوم الى قرائها هذه القصيدة المتجهمة الشاكية التي تكاد قوافيها تتطاير شواظا يحرق اهل الظلم والبغي ، ويكاد القارىء يلمس وراء كل حرف صورة مأساة وجيعة دامية ، فيا دمعة الشاعر ما اغلاك ! ويا نفس الشاعر ما اطهرك ، ويا ايها الجانون على هذا الشاعر ما احقركم في عين السماء ، وما ابغضكم الى الارض التي تمشون فوقها ، كشف الله عن الشاعر هذه الغمة ، واخرجه من ليلها كالبدر سنيا مشرقا ، ولعلنا لا نلبث ان نسمع ان المكر السيء قد حاق باهله ، ونجا هذا البلبل الصداح من محنته وعاد الى الغناء طروبا » .

وابو ماضي كما يعرف اهل المعرفة اغنى شعراء عصره على الاطلاق بالصور الشعرية ، والافكار المبتكرة ، ويعتبر رايه في صيدح من حيث الشاعرية من الشواهد التي لن نستغني عنها حين نتناول ذات يوم شاعرية صيدح وادبه ، اما هنا فليس غرضنا الا استعراض جانب من حياة صيدح من خلال شعره .

اجل لقد طلق صيدح العمل منذ ذلك الوقت اي منذ سنة ١٩٤٥ بعد جهود استمرت عشرين سنة في فنزويلا وحدها هذه السنين التي يقول عنها في احدى قصائده :

عشرون عاما ليتني ما عشتها كيلا تعد علي في الاحقاب

وخرج من فنزويلا مستجيبا للدعوات التي تلقاها من مختلف الجهات ، فقام بزيارة نيويورك مرة اخرى ، ومنها توجه الى الارجنتين ، واحتفي به هناك احتفاء باهرا ، واقامت له الرابطة الادبية مأدبة كبيرة ، ووافته دعوة تكريم ملحة من فنزويلا واصرار من لدن ادباء العرب بكراكاس تكفيرا عن ذنوب اللؤماء الذين كانوا قد ماتوا بغيظهم .

وعاد من الارجنتين ليودع فنزويلا الوداع الاخير بعد فراق خمس سنوات ، وفي حفلة تكريمه بكراكاس انشدت قصيدته التي يصف فيها عودته ويقول :

عاد وفي عينيه طيف الذهاب وفي يديه الكأس شهد وصاب
عاد وما غير طول النوى مما عرفتم فيه غير الثياب
صب مدين لكم دائن في هذه الليلة صفى الحساب

وفي سانباولو بالبرازيل كان لصيدح شأن كبير في نفوس تلك الجمهرة من كبار ائمة الشعر والادب الذين كانت تحتضنهم جمعية « العصبة الاندلسية » وتمثلهم مجلة « العصبة » الفخمة كما كانت تمثل جريدة « السائح » الرابطة القلمية بنيويورك والذين لم يبق منهم الا ميخائيل نعيمة اليوم بارك الله في عمره ، اما من مؤسسي « العصبة » الاوائل فقد بقي شكر الله الجر اطال الله عمره الى جانب الشاعر القروي والياس فرحات حفظهما الله واخرين لا استحضر اسماءهم .

وفي هذه السنة سنة ١٩٥١ اوفد الجنرال بيرون رئيس جمهورية الارجنتين مندوبا من لدنه الى رئيس جمهورية سوريا في مهمة خاصة ذات شأن فارتؤي ان ان يوفد معه صيدح تعزيزا لهذا الايفاد فدعي صيدح لهذه المهمة وكان ان ترك المهجر وأم دمشق بعد تلك الغيبة الطويلة ، وقد استقبل صيدح استقبالا شائقا واحتفي به احتفاء كبيرا واقيمت له حفلات تكريم كان من بينها حفلة « النادي العربي » التي انشد فيها صيدح قصيدته المشهورة التي نعت الشام فيها « بام النسور » وافتتحها بقوله :

ام النسور تفرسي وتاملي اعرفت وجه القادم المتهلل ؟

ثم يغادر دمشق الى لبنان بعد ان ينجز مهمته فيرحب به خير ترحيب كشاعر من شعراء سوريا فيقول :

وقائلة اهلا بشاعر سوريا فقلت لها لبنان مهبط اشعاري

ويكثر من شعره في لبنان كما اكثر من شعره في سوريا وكما اكثر واكثر واكثر في فلسطين التي سيأتي ذكرها في مجال تعيين شاعرية صيدح واغراض شعره حين يتسنى لي ان اتناول شاعريته .

وفي سنة ١٩٥٦ دعي صيدح لمصر لالقاء محاضرة عن شعراء المهجر بصفته اخبر الواقفين على شعر المهجر، وافهم الشعراء باغراض اشعارهم والوانها ، فالقى هناك تلك المحاضرة القيمة التي تألف منها ذلك الكتاب الضخم الفخم « ادبنا وادباؤنا في المهجر العربي » والذي طبع غير مرة واصبح المرجع الوحيد لدراسة هذا الادب العامر بالصور الشعرية ، والذي قاد عزيز اباظة حملة غير موفقة ضده .

وفي سنة ١٩٥٧ اتيح لي ان ارى صيدح لاول مرة بعد ان امتلأت اذناي بصيته المدوي ، ولست ادري الان كيف عرف مجيئي لبيروت ففاجأني وبصحبته صديق الطرفين الدكتور رشاد دارغوث الاديب اللبناني المعروف، وفي هذا الفندق « نيو رويال » اكتحلت عيناي لاول مرة برؤيته (فصدق الخبر الخبرا) وسعدت بزيارته .

يـا ليـلة

★

متــى ينـام الحب عن سهده ... ويستريح القلب مــن وجـده
أكـل نــاء هكذا فــي الهـوى ... مثلـي يعانـي السقم في زهده
أمـا لهـذا الليل فجـر علــى ... مضنى يغذي الشوق من كبده
يثنــي عنان الحب عــن قلبه ... والقلب لا يقـوى علــى رده
يا شاعر الليل وجانـي الهوى ... من ثامر الروض ومـن رنـده
اين ليالي الحب ايــن المنـى ... في عدوة الوادي وفــي وهـده
نجني ثمار الوحي مــن غصنه ... وننسل الاحــلام مــن ورده

يــا ليلة قــد كان حالي بهـا ... حالا أضاع القلب عــن رشده
ظللت حتى الصبح ابكي الحمى ... وأنشد الغافين مــــن أسـده
هلا وفــوا بالود ارض المنـى ... مــن غوطة الشام الــى نجده
فيثأرون الاهــل ممــن طغـى ... ويبعثــون المجد مــن لحـده

فايــن سينـاء ومــا دونهـا ... مـــن شاسع القفر وممتده
فننقذ الارجاء مــن شر مــن ... دهــم المنايـا منتهـى قصده
والقدس هل يغزوه عـات ولا ... يهتز سيف الحـق في غمـده
فحيثما تمشي تــر ايمــا ... او عاجـزا ان ترمـه تــرده
واللاجىء العاني يعانـي علـى ... مـر الليالي البؤس في سهـده
ما ذاق طيب العيش يومـا ولا ... لانت عوادي الدهر في وكـده
تنـم عــن اشجانه عبــرة ... حري لــدى التأساء لم تجده
يستاف اكواب الاسى كلمـا ... تذكر مـا مـر مــن سعـده
وشر مــا يلقـاه فــي بؤسه ... ان لا ينـال الثـأر مــن لـده
يسعى لنيل الثـار ان الــذي ... يسعى اليه في مــدى جهـده
فلــو اعـادوه لساح الوغى ... ما اسطاعت الاجلاف من صده
في ذمـة العرب ديـار غـدت ... في قبضة العادي وفي قيـــده

الارجنتين ... فائق جبور

وفي سنة ١٩٥٨ غادر صيدح بيروت الــــى باريس ليقيم هناك ، ومن شعره يستقرىء القارىء انـه يغادر لبنان على غير رضا من الاحوال السائدة يومـذاك فهـو يقول :

ان ارضا غصت بكـل دخيـل ... لا تبالي اذا الاصيـل تشرد

هذا باقتضاب مجمل لجانب حياة صيـدح الــذي يلوح للقارىء من شعره ، اما مكانة صيدح من الشعراء ، ومكانة شعره في عالم الفكر والشعور ، ومبلغ مـا تضمن هذا الشعر من الوفاء ، والمحبـــة ، وكـرم النفس ، والوطنية الصادقة التي اشتهر بها ، ومبلغ ما قطع مــن المراحل وهو يصعد القمة من بلاغة القول ونسج القافية فان له ـ كما اشرت في هذا المقال غير مرة ـ حديثا آخر ستصوره الاجزاء الثلاثة الاخرى بالاضافة الى الجزء الاول وبالاضافة الى القسم الثاني من هذا الجزء الذي يحكـي الكثير من رقة عاطفته ، ورهافة حسه ، كشاعر عبقـري مجيد .

بغداد ـ كرادة مريم ... جعفر الخليلي



الدكتور محمد رجب البيومي

فتى المروءة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

***

أحرص على قراءة واجهة مجلة الاديب اول ما اقرأ منها ، فأنا أعلم ان صاحبها الملهم يختار لها من روائع الايجاز اللامح ، وطرائف الادب الحي ما يقوم في كلماته القليلة مقالة رنانة لكاتب جهير وقد وقع في يدي عدد مارس من هذا العام فاذا واجهته العزيزة كلمة هادفة عن المروءة من كلمات اخي عبد العزيز الربيعي ! فيا لله لقد كنت اطلق عليه فيما بيني وبين نفسي فتى المروءة ! وها هي ذي مجلة الاديب تنقل عنه ما كنت اريد ان اتحدث به مجلوا في سيرته أفيجوز لي بعدها ان اسكت ؟

ثم مضت بي الشواغل قرابة يومين نسيت فيهما عبد العزيز وواجهة الاديب حتى وقع في يدي عدد الجمعة الموافق ٢ مارس سنة ١٩٧٣ من مجلة (الجديد) اللبنانية فتصفحته على عجل فاذا صورة عبد العزيز الربيعي في اعلى صحيفة منه وقد تضمنت حديثا واقعيا عن مروءته حيث وجدت الكاتب معترفا بفضل الرجل الاريحي عليه اذ كان يعمل مدرسا باحدى مدارس المملكة العربية السعودية ثم تناولته الوشايات الكاذبة ففصل من عمله ، وتحير ماذا يصنع وهو فلسطيني ضاعت أرضه ولا يدري أين يتجه ؟ فأشير عليه ان يذهب الى عبد العزيز الربيعي فهزته المروءة لمأساة زائره وانطلق به الى معالي وزير المعارف كي ينصف المظلوم في محنته ، وقد استمع المسؤول الكبير حتى عرف مكان الحيف ، فرد المدرس الى مكانه ، وانتهى المقال بحديث عن مروءة الربيعي التي اعرفها جيدا ، أفيجوز لي بعدها أن أسكت !؟

لقد كانت كتب الادب القديم تحفل بروائع الاريحيات الصادقة ، اذ تفيض صفحاتها باحاديث عن همامة النبلاء ومروءة الشرفاء ، فتهز الاعطاف للمجادة وتقود النفوس للشهامة ! حتى وجدت لدينا كتب خاص تنحو هذا المنحى من مثل « المستجاد من فعلات الاجواد » « والمكافأة وحسن العقبى » وأشباههما ، ولكن طريقة التأليف العصري قد حالت دون تسجيل ما يجد من طرف الاريحيين وهمامة الفاضلين حتى ظن الناس ان حديث المروءة قد فقد ! وان الناس في القديم غيرهم في الحديث! فضاع موضع الاسوة الحسنة التي يجب ان تكون في ملتقى انظار الناشئة ؟ أفيجوز لنا – مرة ثالثة – ان نسكت !

ان المروءة لدى عبد العزيز الربيعي مروءة دين اولا ومروءة عروبة ثانيا ومروءة ادب ثالثا : فهي مثلث ذو اضلاع متنافسة ولا بد لكل ضلع من حديث .

فمروءة الدين لديه تدفعه الى ان يقول دائما ما يعتقد مهما قامت الحوائل وتكاثفت الصعاب ، كنت اعلم حديثه في ذلك من زملائي بالقاهرة قبل ان افد على الرياض ثم تلاقينا في عاصمة السعودية فاذا الصدق الصادق لما كنت اسمع ، نكون في المجلس الجامع فيتشقق الحديث وتند عبارة من متحدث مرموق يعرف مكانه الرسمي او العلمي فيغضي السامعون في تحفظ ولكن عبد العزيز يرفع عقيرته بالنقد في قوة وقد يتعرض بعض ذوي اللجاجة الى معارضته فيصطدم الاعصار باعصار ، والرجل لا يزيد الا صلابة وشماسا حتى يتضاءل معارضه اذ يتأكد ان عبد العزيز صريح أبي لا يستكين .

وقد يجمعك المجلس الحاشد الى سماع محاضرة يلقيها مسؤول لامع ثم يأتي دور التعقيب فتجد الاطراء الراغب من أناس تعرفهم بسيماهم قبل ان يتحدثوا ، ويأتي دور عبد العزيز فلا تجد الا الصراحة الصريحة في ايجاز واضح وتلك مروءة دين قبل ان تكون ذلاقة حديث .

ثم تسأل عنه اذا اشتقت اليه فتهاتفه في منزله فتعلم انه خارجه يسعى في حاجة غيره ، وقد تمتحنه المحرجات في اصعب الاوقات اذ يدق الهاتف بمنزله في منتصف الليل فتكون الاجابة العاجلة كما سمعتها أنا منه ! أبشر انا اليك في الطريق ! والمؤسف الآسف انك تحدث الناس عن ذلك فيتألمون ، وفيهم من يضيق بحديثك اكبر الضيق ، وكأنك تنتقص من تحدثه حين تسمعه ثناء يساق الى سواه ، وتلك خيئة لئيمة لا ادري كيف تمكنت من نفوس هؤلاء الذين لا يعملون ، ويؤذيهم ان يعمل الناس ولا والله ما دفعني الى تسجيل هذا الثناء الصادق على عبد العزيز سوى أناس ضاقوا به في مجلس خاص ! فليت شعري كيف يصنعون اذ يجدونني – طلبا للاسوة –

انشره على القارئين .

هذا بعض الحديث عن مروءة الدين ، اذ ان الدين الصحيح سلوك وتربية ومعاملة قبل ان يكون رسوما وشعائر وصلوات ، اما بعض الحديث عن مروءة العروبة فاليك .

يعتقد الاستاذ عبد العزيز الربيعي ان العروبة شرف وكرم واباء وان العربي الصريح معدن من معادن الاخلاق المثرية والعطاء السخي والرفاء الحي وان التاريخ العربي في جاهليته واسلامه يعطي النماذج الحية بشجاعة السيف ورجولة القول وعفاف النفس وكرم الفؤاد ، واذا وجد من بني العرب من تنكب هذه الفضائل فهم اقلية لئيمة قد انحدرت عن أصول طاب مفرعها وخبث ثمرها لاسباب لا تمت الى اصالة الجذور ببعض الصلات ، لذلك تجد فتى المروءة ذا حمية عاصفة تكاد تحمله من مكانه اذا غضب ، وقد راى ـ ولا ادري لماذا ـ ان شعر ابي الطيب يرسم الانموذج الحي للفتى العربي فجمع في مكتبته كل ما استطاع العثور عليه من دواوين المتنبي ذات الشروح المختلفة للعكبري والبرقوقي واليازجي وابن جنى وعزام، ثم التفت الى كل كتاب يعلم انه يتحدث عن المتنبي في القديم والحديث فآثر شراءه وتولى دراسته ثم ضمن له اطيب مكان في مكتبته ، اما الاعداد الدورية من المجلات العربية ، في مصر والشام والعراق مما يتحدث عن ابي الطيب في اجزاء خاصة او فصول متتابعة فقد والى التنقيب عنها قدر ما استطاع ، وانك لتلمح زهو المنتشي، ورضا المطمئن وصلابة الواثق حين تجد عبد العزيز يتحدث عن ابي الطيب ويروي شعره ، واذكر انه وجد صاحب مكتبة في مصر يشكو اليه كساد بضاعته . ويطلب ان يبحث له عن عملاء بالسعودية فصاح به الرجل بديهة : سم مكتبتك مكتبة المتنبي وستجد من بركة هذا الاسم ما يجلب اليك القراء من شتى الاصقاع ، وقد استجاب التاجر لاقتراح صاحبه ولا ادري اتحقق لمكتبه الرواج ام ان عبد العزيز رأى ان ينتهز الفرصة ليشيد بالمتنبي في واجهة محل يطرقه الصفوة من القراء ، واذا كان الشيء يذكر بالشيء فأنا اروي عن نفسي اني تحدثت في اذاعة الرياض ثلاث مرات عن ابي الطيب ، وقد بدا لي في شعره وسلوكه ما لا يرضى عنه عبد العزيز ! ولم اكن اتصور ان صاحبي سيعد ذلك هجوما ظالما يتحيف كل فتى عربي قبل ان يتحيف المتنبي ، فظل معي ثلاث ساعات في فندق اليمامة يجاذبني النقد مجاذبة غاضبة ، ويروي من قصائد الرجل ذات الحكم والامثال ما اعلم واحفظ ، ثم احتد فقال ، انني لم اقرأ ديوان ابي الطيب! فلم اجد غير التسليم بعد ان امتد النقاش واستطال ، واني لاهمس في اذن صاحبي الآن بعيدا عن مجلس النقاش فأقول له انا ورثنا جميع شعراء العربية من طراز المتنبي ونظرائه امثال ابي تمام والبحتري وابي العلاء والشريف، فلماذا نقصر اعجابنا الخالص على فرد واحد دون سواه ؟ قد يكون المتنبي شاعر العربية الاكبر عند اكثر الناس ؟ فلماذا تحتم ان يكون كذلك عن الجميع دون استثناء ! ان هيام صاحبي بالعروبة قد حملته على ان يجسد مثالها في صورة شاعر قوي الشخصية كالمتنبي ، وله ان يفعل ما يريد ، ولكن ليس له ان يخضع اصدقاءه لما يشاء .

هذا بعض القول عن مروءة العروبة لدى عبد العزيز تلك التي تحدثت مصادرها الوثيقة من التاريخ العربي ثم رأت في شعر المتنبي ما يمثل هذه المروءة في معرضها الخالب ومنظرها القشيب ! وهي بذلك قريبة لصيقة من مروءة الادب ، ذلك الضلع الثالث من أضلاع المثلث لدى الرجل الماجد ، ذي الانتاج المتحمس ، والقول المتدفع ، اذ طالعت كثيرا مما كتبه في جرائد السعودية اليومية ومجلات لبنان الادبية ، فوجدت مقالاته تحمل طابعه وتنادي عليه ، ولو رأيتها غفلا من امضائه لعرفت صاحبها بقوة دفاعه وشدة اخلاصه ، وحسن تهديه ! وهل كانت آثار عبد العزيز غير صرخات ناقدة في سبيل العروبة او ومضات خالبة في مجالي الادب ؟! اذكر ان مجلة العرفان اللبنانية قد خصصت واجهتها الاولى لقرائده النضيدة مرات عدة ! فقدمت لقرائها قطعا مركزة دقيقة من بيانه ، تتجه اول ما تتجه الى الهيام بالمجد العربي ، والحذر من المتربص الاوربي مما يصلح ان يكون حداء القافلة ومنار الطريق . كما اذكر اني قرأت له بحثا ضافيا تحليليا عن احمد الصافي النجفي شاعر العرب الكبير ! وهو بحث اشمتني في الكاتب واضحكني منه كثيرا لا لشيء سوى انه قال :

« يستحق الشاعر الكبير ـ احمد الصافي النجفي ـ لقب متنبي عصره ، فشعره يقف بثقة بالغة امام شعر ابي الطيب المتنبي يرحمه الله ! فهو يقول هنا وليس قوله هذا عن نبوة « اني والمتنبي على خط واحد » .

يوحدنا في الروح دار ومهجر ويجمعنا في الشعر فن وحسد
أتى متنبي الشعر والروض اجرد وجئت وروض الشعر منه مورد

ولندع راي النجفي في نفسه ، فله ان يقارن بينه وبين المتنبي بل له ان يرفع نفسه عنه ، فما لنا الآن نقاش مع الشاعر الكبير ! ولكننا نقول للاستاذ عبد العزيز يا اخي كيف جاز لك في احاديثك ان تنكر مقارنة المتنبي بأبي العلاء وأبي تمام ، والثلاثة قريب من قريب ! ثم تقول في حديثك عن النجفي ان شعره يقف بثقة بالغة امام شعر ابي الطيب رحمه الله !! أنا لا انكر ان الاستاذ احمد الصافي النجفي شاعر كبير ، وانه فنان أصيل ، وان مقامه جهير في الشعر المعاصر ! ولكني أنكر ان يقرنه عبد العزيز بأبي الطيب ثم يرفض ان يجعل المتنبي مقارنا لامثال ابي تمام وابي العلاء والبحتري والشريف ؟ أهي مروءة الادب قد بسطت اريحتها الواسعة على النجفي في ساعة صفاء حتى لفته مع المتنبي في دثار

اغنية الى بنزرت

رددي (بنزرت) الحان الخلود
واصدحي بالنغم العذب الفريد
وأملئي الدنيا أهازيج السعود
واجعلي المجد شعارا
ودليلا ومنارا
وأعيدي ذكر ماضيك السعيد
فلقد أشرق في الكون وسارا

يا دم الابطال في الافق الرحيب
هذه (بنزرت) في ثوب قشيب
تسبح الانوار من بعد اللهيب
في سماها ورباها
وعلى رحب مداها
تخفق الاعلام في فخر عجيب
بعد أن أزرت بأعلام عداها

ايه يا (بنزرت) يا بنت العروبه
سجلت أرضك مأساة رهيبه
فغدت للسلم أنغاما طروبه
فدماء الشهداء
ودموع الابرياء
قصة الهبت النفس الوثوبه
فاتت بالنصر وضاح السناء

يا ثرى (تونس) قد ولى الظلام
وأتى الفجر الجديد المستهام
في ثناياه رخاء وسلام
وربيع وشباب
والاماني العذاب
فربى الخضراء حب ووئام
وهي للامجاد والفخر ركاب

تونس ـ سفارة الكويت — فاضل خلف

واحد ، وحرمت على غيره ان ينعم بدفء الكساء وانه لغال ثمين .

وبعد ، فأذكر اني حين كنت طفلا صغيرا بمكتب القرية المتواضع كان معلم المكتب يخط على السبورة هذين البيتين لنتعلم منهما الخط :

مررت على المروءة وهي تبكي — فقلت علام تنتحب الفتاة
فقالت كيف لا ابكي واهلي — جميعا دون خلق الله ماتوا

وكان يقرؤهما متغنيا رافعا صوته بانشاد ساذج ! فيخيل الي حينذاك ان المروءة فتاة صغيرة على سبيل الحقيقة وان اهلها ماتوا فبكت عليهم !! فليت شعري من يدلني الآن على هذه الفتاة كي اذهب بها الى قريبها الحبيب ، عبد العزيز الربيعي ! حياه الله .

الرياض ـ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي

الفضيلة في الادب الجاهلي

بقلم الدكتور ناجي التكريتي

***

تعني الجاهلية لغويا الجهل . ولكننا نفهمها معنويا كشيء معاكس للاسلام . اما زمنيا فهي الفترة التي سبقت ظهور الدعوة الاسلامية . ولا شك ان الحياة التي عاشها العرب وطريقة معيشتهم وسط محيط الصحراء القاسي ذات المناخ المتغير ، وتنقلهم من مكان الى آخر قد اثرت في سلوكهم ومعاملاتهم ومواقفهم ، واخيرا في تفكيرهم ، فاكسبتهم كثيرا من العادات والصفات الحميدة ، تلك التي نسميها فضائل كالكرم والشجاعة والشهامة والصبر والرحمة .

نستطيع بسهولة ان نميز الافكار الاخلاقية مبثوثة في تراث العرب الفكري ، لا سيما في الشعر . فالحياة البسيطة التي يعيشها البدوي تنعكس في شعره ، وان الشعر مرآة حقيقية للمجتمع ، او كما عبروا هم انفسهم (الشعر ديوان العرب) مما يعطي صورة صادقة للاهمية التي يقدمها الشعر عن المجتمع .

ولقد اعتبر العرب قبل الاسلام الشجاعة الفضيلة الاولى في حياتهم اليومية ، سواء في الحرب ام في السلم . ولا نعجب اذا رأينا احدهم يفضل الموت في المعركة عنها في الفراش كما يعبر عن ذلك السموأل :

وما مات منا سيد حتف انفه ... ولا طل منا حيث كان قتيل

ولذلك تفخر القبيلة عندما يكون افرادها شجعانا وتعتبرهم كفرسان . والفارس دائما يكون حامي القبيلة ، بالاضافة الى تمتعه بصفات الشرف والفضيلة ، حيث ان الكل ينظرونه كرجل كامل ومثل عظيم يحتذى به من قبل الجميع . فهو رجل شجاع ومحارب ممتاز وقت الحرب ، وكذلك بنفس الوقت يتمتع بالنبل والشهامة والرحمة والحكمة . اثناء الحرب يتمتع بمزايا الفروسية ، فهو مثلا لا ينكث عهدا قد وعد به ، وفي وقت السلم كريم عاقل ، حامي النساء ، ويساعد كل من يحتاج مساعدته . لنر كيف يصف عنترة بن شداد شجاعته ونبله :

يخبرك من شهد الوقيعة انني ... اغشى الوغى واعف عند المغنم
فارى مغانم لو اشاء حويتها ... فيصدني عنها الحيا وتكرمي

فخر العربي واعتزازه بنفسه لا تحده حدود ، ويظهر ذلك واضحا في شعر عمرو بن كلثوم :

ابا هند فلا تعجل علينا ... وانظرنا نخبرك اليقينا
بانا نورد الرايات بيضا ... ونصدرهن حمرا قد روينا

اما الكرم فقد كان فضيلة مقدسة ، فالترحيب بالضيف واجب . ولعل حاتم الطائي – والذي تروى عنه القصص الكثيرة في الكرم – كان مثلا اعلى في الكرم عند العرب . ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وصفه : انه رجل احب مكارم الاخلاق . يوجه حاتم القول الى زوجته :

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ... ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... اكيلا فاني لست اكله وحدى
اخا طارقا او جار بيت فانني ... اخاف مذ مات الاحاديث من بعدى
واني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... ومافي الا تلك من شيمة العبد

الوفاء – بغض النظر عن النتائج المترتبة على الالتزام به – ولو ادت الى وفاة المتعهد او احد اقاربه – من الفضائل التي تمتع بها عرب الجاهلية ، ولعل خير مثال على ذلك ، وفاء السموأل لامرىء القيس ، عندما اودعه دروعه ، حيث افقدت الامانة السموأل حياة ابنه . وتروي القصة ان ملك الحيرة ارسل جيشا بقيادة الحارث بن ظالم ضد السموأل ، وصادف ان كان ابن السموأل يصطاد في الصحراء ، فأسره الجيش ، وخير الحارث السموأل ان يسلم دروع امرىء القيس او يقتل ابنه ، فابى السموأل ان يسلم الامانة وقال :

وفيت بادرع الكندي اني ... اذا خان اقوام وفيت

ولذا نرى العرب يضربون المثل بوفاء السموأل فيقولون : « اوفي من السموأل » او : « وفاء كوفاء السموأل » .

اما الشهامة فتعتبر فضيلة مكملة للرجل في مجتمع يرى النظر الى النساء نقيصة . فالفارس عنترة يفخر بانه لا يرفع طرفه الى زوجة جاره او ابنته :

واغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يوارى جارتي مأواها
اني امرؤ سمح الخليقة ماجد ... لا اتبع النفس اللجوج هواها

وفضيلة ضبط النفس خير مثل لها هو قيس بن عاصم المنقري ، اذ بينما كان جالسا ذات يوم مع افراد قبيلته ، واذا بابن اخيه يجلب اليه موثوقا ، بالحبال ، حيث قتل ابنه – ابن عاصم – فيطرح امامه . وبدلا من ان يثور عاصم او يقتل ابن اخيه ، لم يزد الا ان قال بهدوء ، وهو يخاطب ابن اخيه موبخا ، ومذكرا اياه بان جريمته قد انقصت عدد افراد قبيلته واضعفت شوكتها واسعدت اعداءها .

والشاعر زهير بن ابي سلمى ، بدون شك ، شاعر اخلاقي ، وشعره مليء بالحكم التي تحث على مكارم الاخلاق ، وقد جاء في معلقته :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة ... وان خالها تخفى على الناس تعلم

ولعل خير خاتمة تنهي بها هذه المقالة ، هي هذه الابيات الشعرية لعبد قيس بن خفاف ، حيث ترينا كيف استعمل الشعراء الجاهليون شعرهم في الحث على الفضيلة :

واترك محل السوء لا تحلل به ... واذا نبا بك منزل فتحول
واذا هممت بامر شر فاتئد ... واذا هممت بامر خير فافعل
واذا تشاجر في فؤادك مرة ... امران فاعمد للاعف الاجمل

جامعة بغداد **ناجي التكريتي**

كان

من عادتنا ان نجلس كل مساء في مقهى الصفاء ، نتبادل احاديث الادب حينا ، ونلعب النرد حينا آخر ويدخن بعضنا النارجيلة، وينفث دخانها بعنف ، فيتصاعد ويشكل سحابات في جو المقهى ، تلتقي بغيرها من السحب ، وتشكل هذه وتلك غيوما كثيفة ... ولكنها لا تمطر !..

ودخل المقهى بائع فستق سوداني عجوز ، يحمل بضاعته على « بسطة » صغيرة ، يشدها الى عنقه برباط متين ، ويوقد تحتها نارا ، يتصاعد منها دخان خفيف ، لتظل دافئة ساخنة ، تثير الانتباه ، وتغري بالشراء . والى جانب فستقه الساخن لف مجموعة من ورق الصحف بشكل اسطواني ضيق ، مغلقة من اسفلها ، ووضعها الواحدة ضمن الاخرى ليملأ بها بضاعته للراغبين .

اعتاد بائع الفستق هذا ، ان يدخل مقهى الصفاء كل يوم ، كجزء من جولته في الاسواق والاماكن العامة ، فيطوف ببضاعته على الموائد ... واعتدنا ان نعتذر عن الشراء مع عشرات المعتذرين .

لم يكن هذا اللون من المكسرات يلفت انتباهنا ـ وبيننا الكاتب والشاعر والصحفي والمحامي ـ كما لم يكن يثير اهتمام احد من رواد المقهى الا فيما ندر ... كان مبروك يعرض بضاعته على الموائد بصمت ، وكان الجالسون يرفضونها بهزة رأس ، وبعضهم برفع اليد ، وآخرون يرفضونها بشيء من الجفاء ... واعتادت مائدتنا ان ترفضها بالتزام الصمت .

في ذلك المساء كان الجو باردا ، والريح تزفر وتئن ، وزخات من المطر تقذف زجاج المقهى دون رحمة، حين اخذ مبروك يعرض بضاعته على الزبائن . واخذنا نرقبه وهو قادم من بعيد . وكانت جعبتنا قد فرغت من احاديث الادب والسياسة ، وسئمنا لعبة النرد . كان يقف مرتجفا ، والانظار ترمقه بشيء من الجفوة ، والامتعاض يبدو على الوجوه ، ربما من ثيابه المهلهلة ويديه المتسختين .

كنا نرمقه بلا مبالاة ، ونلحظ اعتذار اصحاب الموائد عن الشراء ، الواحد تلو الآخر ، وهو يواصل طوافه ، صابرا ، صامدا لا ييأس .

مد احد الزبائن يده ونفحه قطعة من ذات القروش العشرة فتناولها مبروك شاكرا وقدم الى صاحبها ورقة من فستقه الساخن ... ولكن الرجل اعتذر عن اخذها ، ربما تقززت نفسه من يديه او ثيابه ... عند ذلك قذف بالقطعة المعدنية على المائدة ، وتابع سيره مغضبا

فستق سوداني

بقلم عبد الغني العطري

وهو يقول :

ـ لا اريد صدقة .. لا اريد !.

وابتسمنا معجبين بكبريائه وعزة نفسه . وحين بلغ مائدتنا بعد طواف طويل، واعتذارات لا تحصى، لمحنا صديقنا الشاعر الاستاذ حسني ، يمد يده الى حافظة نقوده ، ويخرج منها ورقة من ذات الخمس ليرات ، ويخاطب مبروك متوددا مداعبا :

ـ هل فستقك ساخن ولذيذ يا مبروك اليوم ؟

ـ نعم يا سيدي .. انه احسن فستق ، وهو ساخن ، ولذيذ ، وملحه معتدل .

ـ اذن هات ... اعط كل واحد منا ورقة .. ولا تنس ان تملأها جيدا .

فنظرنا الى صديقنا الشاعر الملهم في دهشة ، وقد عرفناه يكره الانفاق وبذل المال ، حتى انه اعتاد لدى خروجنا من المقهى ان يقف في الخلف ، او يمد يده الى جيبه ببطء ، فتمكث طويلا ، وهو يتصنع البحث عن المال .. كل ذلك لكي يتجنب دفع الحساب ...

لم يبال الاستاذ حسني بنظرات الدهشة التي علت وجوهنا ، ولا بالابتسامات الساخرة التي ارتسمت على شفاهنا ... لقد تجاهل كل ذلك ، وتابع توزيع اوراق الفستق علينا .. وتناول اخيرا نصيبه منه ، ودفع الليرات الخمس الى مبروك.. فنظر اليها بدهشة ، وهو فاغر الفم ، وقال متلعثما :

ـ ولكني يا سيدي لا املك بقية المبلغ .. انه ضخم .. ومطلوبي نصف ليرة سورية فقط ، لانكم خمسة ، والواحدة بعشرة قروش.. وانا لا آخذ صدقة ..

فنظر شاعرنا اليه متوددا ، وقال وهو يدفع ببعض حبات الفستق الى فمه :

ـ ومن قال لك اني اريد البقية ؟.. ان فستقك شهي جدا ، ولذيذ يا مبروك ... انه يساوي اضعاف الليرات الخمس وعلى اي حال فسأحاسبك بالباقي ، وناكل به فستقا في الايام القادمة ... اذا اردت !.

وتلعثم البائع السوداني .. وترقرقت في عينيه دموع الفرح وصاح :

ـ والله يا سيدي ان فستقي لذيذ وشهي ... وانا اعده بنفسي واتعب ، ولكن الناس .. الناس لا

قصة

يقدرون ...

وانصرف مبروك وسط دهشتنا لهذه المفاجاة ، وهو يدعو لصديقنا الشاعر بالرزق وطول العمر ...

وما كاد البائع يبتعد خطوات ، حتى ضجت مائدتنا بالضحك لهذا الكرم المفاجيء ، تبدو آثاره على اخينا حسني . وصاح به احدنا قائلا :

ــ هل ربحت اليوم ورقة الخمسين الف ليرة يا استاذ ؟؟

وقال آخر :

ــ هل مات عمك المليونير العجوز ، ووضعت يدك على الثروة ، دون ان تخبرنا ؟؟

وتابعنا ضحكنا العالي ... ولكن الاستاذ حسني اتجه الينا بالحديث ، وهو لا يزال يقضم حبات الفستق السوداني الساخن وقال :

ــ لا تعجبوا ايها الاصدقاء مما فعلت .. لقد اعاد الي بائع الفستق ذكرى قديمة ، سأرويها لكم :

ــ منذ عشرين سنة كنت ما ازال مبتدئا في الشعر .. وعلى الاصح كنت هاويا ، ولكني لا اعرف بحور الشعر ، ولا اوزانه ، ولا قوافيه .. كنت اقيس الكلمات بالمسطرة ، واصف الالفاظ ، الواحدة الى جانب الاخرى ، واحسب اني صنعت شعرا . كنت انصب الفاعل ، وارفع المفعول ، واجر المبتدأ ، واحذف الخبر .. وارتكب فاحش الاغلاط ، واعتقد اني افعل المعجزات في الادب .

في ذلك الحين قصدت مكاتب مجلة « الدنيا » ، وكانت يومها كبرى المجلات في بلدنا ، وطلبت مقابلة رئيس تحريرها ... وحين دخلت مكتبه ، عرضت عليه بعض ما كنت اسميه شعرا ، فرفع راسه من بين اكداس الورق ونظر الي بابتسامة ساخرة وقال :

ــ كم تبلغ من العمر ايها الفتى ؟

فأجبته بتلعثم :

ــ ستة عشر عاما ..

فطوى ما حملته اليه من اوراق ، وقال وهو يعيدها الي :

ــ انصحك يا صديقي ان تقرأ كثيرا ، قبل ان تحاول النظم او النثر ... اقرأ شعرا جاهليا ، واقرأ شعرا اسلاميا . اقرأ شعرا مخضرما ... اقرأ للمتنبي وابي تمام والبحتري وشوقي وحافظ والاخطل .



عبد الغني العطري

●

ففتحت فمي دهشة وقلت :

ــ من .. من .. يا سيدي الاستاذ ؟

قال ساخرا :

ــ ألم تسمع بهؤلاء الشعراء يا سيد حسني ؟

فأجبت بسذاجة :

ــ سمعت ببعضهم فقط .

وهنا وقف بانفعال ، ومد الي يده مصافحا ، فمددت يدا باردة كالثلج ، وانا اشتمه في سري ، وانعته بالجهل والغباء ، وعدم تقدير المواهب والكفاءات ..

وقصدت ادارة مجلة اخرى ، اقل من الاولى انتشارا ... فكانت الصدمة اشد من الاولى واعنف ...

وتابعت طوافي على جميع صحف ومجلات دمشق ، فلم اجد بينها من يجرؤ على نشر ما توهمت انه شعر صالح للنشر .

قضيت على هذه الحال شهورا كثيرة ، نظمت خلالها عددا كبيرا من « القصائد » ، واخذت اتلهى بجمعها وتنسيقها ونقلها بخطي الجميل الى مجموعة من الورق الفاخر ... وقررت ان ابدأ رحلة جديدة في محاولات النشر والظهور ، واخذت العن اصحاب الصحف والمجلات ، واتهمهم بالجهل والانانية ومحاربة الكفاءات الشابة ، واحتكار الشهرة لانفسهم ... قررت ايها الاصدقاء ان اجمع قصائدي ، واجعل منها ديوانا شعريا يحمل اسمي ، ويضم بين دفتيه مواهبي وعبقريتي في الشعر ...

وفرغت من اعداد « الديوان » وتنسيقه ، واخذت ابحث عن الناشر . قصدت اكبر مكتبة في البلد ، وحين فاتحت صاحبها بالامر نظر الي شزرا وقال :

ــ نحن لا نطبع الا لكبار الادباء ... وانت لست منهم مع الاسف .

فاحمر وجهي ، وشعرت بالعرق يبلل جسدي ... وتمالكت هدوء نفسي وقلت :

ــ ولكنه يا سيدي شعر جيد ..

فلوى عنقه وقال بجفاء :

ــ قلت لك لا نطبع .. وليس لدينا وقت للمناقشة .

وخرجت وانا اكاد اسقط من صدمة الفشل والخيبة ... وقصدت جميع المكتبات ودور النشر التي سمعت بها او عرفت اصحابها ، فلم يكن حظي منها بافضل من حظي لدى المكتبة الاولى .

على ان الصدمة العنيفة التي افقدتني الصواب والثقة بالنفس ، كانت حين قال لي احد اصحاب

المكتبات الصغيرة ، بعد ان تصفح شعري :

ـ هذا الذي تسميه ديوان شعر، بحاجة الى مجنون ليطبعه ... انصحك ان تضعه في المدفأة وتتدفأ بناره .. فالدنيا برد في هذه الايام..

بعد هذه المحاولة فقدت ثقتي بنفسي ، وشعرت باني طعنت بكبريائي ، فخارت همتي ، وضاعت عزيمتي ، واحسست بالدوار ، وقررت العزلة والبعد عن الوسط الادبي ، فلجأت الى مقهى يشبه مقهانا هذا ، واخذت اصطحب معي دواوين لكبار الشعراء ، فاقتل الوقت بمطالعتها ، والتلذذ بما فيها من بليغ المعاني ، وروائع القوافي ، وساحر الالفاظ ، وبديع السبك .. كنت اجلس وحدي في زاوية من المقهى اقرأ ثم اقرأ دون ان ارتوي فاذا ما تعبت ، جلست اتأمل اللاعبين والمدخنين ، والداخلين والخارجين ...

وذات يوم شبيه بيومنا هذا ، ببرده ورياحه وامطاره ، دخل المقهى الكبير بائع فستق سوداني ، شبيه بصاحبنا مبروك . تعلقت انظاري به ، منذ وطئت قدماه المقهى . كان يعرض بضاعته على الناس ، تماما كما كان يعرضها مبروك ... وكان الجميع يرفضون الشراء ويعتذرون ... كما رفض زبائن مقهانا هذا واعرضوا عن بضاعة مبروك . كان البائع لا ييأس .. كان يقدم فستقه مشفوعا بابتسامة كبيرة ، تحمل كل آيات التوسل والرجاء ، لكي يشتري الناس فستقه العتيد ... ولكنه لم يكن يقابل بغير الرفض والاعراض ، ولوي الشفاه والرقاب.

وتابعت باهتمام جولة بائع الفستق على زبائن المهقى ... لم اجد واحدا منهم قد مد يده الى جيبه ليخرج قطعة من ذات القروش العشرة ، ويتناول ورقة من فستقه الساخن .. وحين اقترب البائع من مائدتي ، توقعت ان يكون اليأس قد استولى عليه ، فيختصر جولته وطوافه ، ويمر بي مرور الكرام ، او يغفل الوقوف قربي ... ولكنه رغم كل ما تعرض له من صدمات لم ييأس ، بل اقترب مني بأدب وهمس بصوت خفيض :

ـ فستق .. فستق .. ساخن .. ساخن .

فمددت يدي الى جيبي على الفور وهتفت به :

ـ اعطني ورقة من فستقك الساخن .

فنصب « بسطته » الصغيرة ، والدخان يتصاعد من وسطها ، وملأ لي ورقة اسطوانية مسدودة الذيل ، فدسست في يده قطعة القروش العشرة ، فقبلها ووضعها في جيبه شاكرا ، وهو يدعو لي بالرزق والعوض .

واخذت ارشف في فمي حبات الفستق السوداني ، وانا افكر بهذا البائع الذي لا يعرف اليأس سبيلا الى قلبه ، فأنساني صبره وجلده كل ما صادفني في الشهور الاخيرة من فشل وعقبات وصدمات في حياتي الادبية ... وقررت ان اقتبس من بائع الفستق صبره وجلده وايمانه العميق بالله .

وصمت صديقنا الشاعر الكبير.. واخذ يبادلنا نظرات عميقة ، وهو غارق في ذكريات الماضي .. وران علينا صمت بليغ ، قبل ان يتبع قوله :

ـ الا تجدون يا اصدقائي ، ان مبروك يستحق اضعاف الليرات الخمس التي نفحته اياها ؟؟

دمشق عبد الغني العطري

الصفاء

فـي أي وقـت أشاء	يحـل قلبـي الصفـاء
وأقحم النفس حرب ال	أسى ، ودرعـي الدمـاء
وأنبـري للمنايـا	ومهجتـي أشـلاء
ولسـت أرجـع الا	وفـي يـدي اللـواء
والغار فـوق جبينـي	وبسمتـي زهـراء
وطيف سعـدي يشدو	وتـرقـص الاحنـاء
فمـن أراد الامانـي	والعزم فيـه مضاء
ومـا ألاهـا اطلابـا	أتتـه وهـي امـاء
انـي شربت الرزايـا	كأنمـا هـي مـاء
فللسعادة بـاب	مفتاحـه الضـراء
مـا للصباح جمال	نهـواه لـولا المساء
والخير ليس يرجى	مـا لـم يحل الشقاء
ولا استطبنـا ربيعـا	عقـوده الانـداء
والزهـر فيـه ضروب	لـو لـم يجن الشتـاء
فتـارة زمهريـر	وتـارة دأمـاء
فمرحبـا بالامانـي	تـزفهـا الارزاء

محمد العدناني

فارس الفصحى

القصيدة التي القيت في مهرجان معهد الرسل بجونية احياء لذكرى المحامي الشاعر انطون قازان

يا تارك الصحب ، لم تترك لهم خبرا   ما غيب الموت من تبسامك الاثرا

كيف احتجابك عن عين ، اذا نظرت   ولمت من بقايا نبلك الصورا

خفقت في القلب حبا موجعا عطرا   يزكو فيرفد حبا موجعا عطرا

ان القلوب اذا ما قال قائلها   تسفه الحزن في الدمع الذي انهمرا

أذاكر أنت ، اذ كنا هنا رسلا   نشاطر « الرسل » (١) تذكارا لنا عبرا

كنا وكنت ، متى الاعواد تجمعنا   يخيب بعدك من غنى ومن نثرا

هذي المنابر اذ أسكرتها طربا   تبكي شبابك اذ اوردتها الكدرا

لهف البيان ، وقد خلفته تعسا   ينساب منحدرا ، ينجاب منحسرا

لهف الفصاحة ، لم تفرح جنائنها   حتى تهادت شذى ، واحلولكت زهرا

ماذا سكوتك ، والاجداث ناطقة   هل يسكت الموت من يستنطق الحجرا

يا تائه اللفتة السمحاء ، تنثرها   فتستميل اليك الفكر والنظرا

قد كنت ملء العلى ، بالعزم مؤتمرا   بالحلم مؤتسرا ، بالعلم مؤتزرا

حزنت للشعر ، ما سلسلت موعده   ولو فعلت ، شأوت الشعر والشعرا

ما كان نسجك اسمالا مهلهلة   يا ناسج البرد ، ميسورا ومقتدرا

لولا الاصالة ، لا حرف مررت به   مر النسيم ، ولا لامسته حذرا

اني لاسمع جرس الانقياء به ،   فاعذر جموحي اذا لم أسمع البشرا

يا مدره الحق في دنيا ، عدالتها   خفض الجباه على اعتاب من غدرا

هل عاد قلبك يشكو للعلى كبدا   حرى تقاوم ، لولا صبرك (....)

ماذا رأيت وراء القبر ؟ هل لمحت   عيناك شرعة ناب ينصر الظفرا

هل في رحابك جهل يزدري قيما   ويحقر العلم ، والاخلاق ، والفكرا

هل في رحابك قوم كل مطمحهم   ان يرفعوا «زيدا» او ان يسقطوا «عمرا»

هل في رحابك حكام عباقرة   اقصى امانيهم ان « يرسموا » وزرا

اما الشعوب ، جياع الارض ، فانكفيء   يا همة الحكم ، لا تستنقذي الفقرا

بعض البلاد يميت الجوع ثورتها   فتستكين لقوم ابطروا البطرا

ان الرماد اذا نيرانه غضبت   لم يرحم الشر اما فجر الشررا

ما عز ظلم ، ورب الناس مقتدر   ولا كبير على عدل السما كبرا

يا مدره الحق ، يا صوتا يرجعه   قوس العدالة ، مشبوبا ومستعرا

يحصحص الحق في فيه ، فما دحرت   عدالة الناس الا عدله انتصرا

ان السياسة ، اذ بارحتها ، خسرت   يا ابن الشموخ ، وما أنت الذي خسرا

أقمت للفكر سلطانا سموت به   فلا انحدرت ، ولا سلطانك انحدرا

يا نافح الشعر احلاما مجنحة   ورافد النثر ضوءا يشعل القمرا

ان بحت بالشجو ، صيرت المنى غررا   او همت بالحب ، وزعت السنا دررا

فللأنامل سحر ليس يعرفه   من لم يداعب ، على انغامك ، الوترا

حديثك الحلو ، لم يبرح خواطرنا   نشتاق ما بان من نجواه واستترا

ان قيل : من فارس الفصحى وحارسها   تلفت الهدب صوب «الذوق»(٢) وانكسرا

فوزي عطوي

١ ـ اشارة الى مهرجان الذكرى الثلاثين الذي كان اقيم في معهد الرسل للمحامي الشاعر فيليب كميد ، وكان انطون قازان وصاحب القصيدة من خطبائه ، ٢ ـ ذوق ميكائيل بلدة انطون قازان .



حلمي محمد القاعود

العجيلي .. وادب النبوءة

بقلم حلمي محمد القاعود

***

اذا كان الاختلاف قائما وما يزال على تحديد وظيفة الادب ودوره في الحياة الانسانية ، فان الادباء لا يختلفون كثيرا حول دور الادب في استشراف المستقبل الانساني على مستوى الذات الفردية ، وعلى صعيد المجتمع بأكمله .. اذ ان الادب في لمامة احواله ، وكافة اشكاله رؤيا بشرية : تحدد بما ترى : ملامح شيء ما او فكرة ما .. اتفقنا مع هذه الرؤيا او اختلفنا معها ، وقد يكون من طبيعة هذه الرؤيا ان تقرر واقعا معينا ، وتعمل على توصيفه فنيا وفكريا ، ولكنها من ناحية اخرى قد تتجاوز هذه المرحلة ، وتذهب الى ابعد من ذلك ، فترى المستقبل بعين فاحصة ، وتؤكد على ما فيه من ظواهر ناتجة عن الواقع المؤكد ..

نستطيع عندئذ ان نصف هذه الرؤيا الادبية بالرؤيا المتنبئة ، وايضا يمكننا ان نسلك الجنس الادبي الذي يعالج هذه الرؤيا بانه من ادب النبوءة .

ويحق لنا من - ثم - ان نتمهل عند اي ظاهرة ادبية تحمل في ذاتها النبوءة الادبية ، اذ انها تلتصق التصاقا شديدا بواقعنا المضطرم الذي تزداد اشجانه كثافة بمرور الزمان وتتعقد اموره مع مطلع كل شمس ، نتيجة الاحباط المستمر ، والعجز الراهن ، والبلبه الذي يسيطر على الذات الفاعلة والمتحركة والمنفذة ..

قليلة هي الظواهر الادبية التي تحمل في اعماقها مخاض الرؤية النبوءة ، بكل آلام هذا المخاض وقسوته وجبروته .. ونادرا ما يجد المرء في ادبنا العربي الراهن صوت الزمن القادم (١) مهما كان هذا الزمن رديئا او عاصفا او مشحونا ! ولعل ذلك يرجع الى عوامل خارجة عن ارادة الكاتب او الاديب .. بيد انها لا تعفيه ابدا من استباق الاحداث والتخلص من تبعيته المخزية لها ، واخذ زمام المبادرة باستمرار ..

ولسنا نعني بذلك ان يكون الاديب منجما او ضارب ودع ، فليست هذه مهنتنا ابدا ، وانما نعني ان الاديب يملك ذاتا حساسة تبني رؤاها على اساس من الواقع الملموس ، والمرئي ايضا ، وتستمد اصول هذه الرؤى من الماضي التاريخي ، ثم تضع كل الاسس في نطاق فرضيات تدعمها الشواهد والتجارب وتؤدي الى نتائج صحيحة غالبا . واذا صح ان الاديب اكثر الناس احساسا بقضايا الانسان واكثرهم معاناة لاشجانه ، فانه بالضرورة يرى ما لا يراه غيره من الناس ، ويبدع ادبا يستشرف المستقبل ، ويستشعر الزمن الآتي بمرارته وحلاوته ، وقرفه وسعادته ..

وترتبط هذه الرؤيا النبوءة - في حالتنا نحن العرب - بالبحث عن هويتنا الضائعة ، وذاتنا التائهة ، وشخصيتنا المستميعة من محلول الغزو الرهيب القادم من شتى بقاع الدنيا ..

ولا احد ينكر ان هذا الوطن قد تعرض لسيل عرم من الغزوات العسكرية والفكرية ، وكلها اتفقت صراحة او ضمنا على سلخه عن طبيعته ، واستغلاله بما يفيد مصالح السيطرة الاستعمارية استراتيجيا واقتصادية على المدى البعيد والقريب !

ولا أحد ينكر ، ايضا ، ان ذلك كان له تاثيره على الوجود الذاتي والنتاج الحضاري لشخصيتنا الحضارية (٢) وابرز مظاهر هذا التأثير : التخلف الفكري والعلمي والتقني ، والتفاوت الكبير على مستوى الصفوة المثقفة لاختلاف منابعها الفكرية .. فضلا عن الاحتلال العسكري والاستيطاني الكاسح لاجزاء من الوطن العربي .

اذا فان البحث عن هوية هذا الوطن وشخصية انسانه ، تصبح ضرورة لازمة لبلورة الذات العربية والتئامها من جديد وصقلها وفق معايير متميزة لتقف على قدميها ، وتدافع عن وجودها ، وتمضي على درب الحضارة من جديد : عبقرية ومبدعة ومتطلعة للغد الآتي ..

ولا اظن كاتبا او اديبا يملك الموهبة الاصيلة ، والحس المرهف ، في هذا الزمان الا معبرا عن هذه الهوية وباحثا عنها في اطار الرؤيا النبوءة ..

وقد كتبت عن الدكتور العجيلي ذات يوم (٣) وكرمته على اساس كونه من المنتمين الى الذات العربية بالاصالة والباحثين عنها بجد ، واذكر انني اكدت ذلك عندما تحدثت عن رواية « الطيب صالح » - الكاتب السوداني المعروف - واسمها « موسم الهجرة الى الشمال » (٤) .. وهاندا اعود اليوم الى الحديث عن « العجيلي » كانموذج للاديب الباحث عن هوية واديب النبوءة التي لا تخيب .

من مجموعته الاخيرة « حكاية مجانين » ست قصص تتفاوت في الموضوع والبناء ، وهي على الترتيب : « الحاجان » و « الجدب والطوفان » و « فيفا » و « ايامي في جزيرة شاور » و « الورم » و « حكاية مجانين » .. وترتبط كلها بالذات العربية على المستوى القومي والمحلي والشخصي .. وكلها تدور داخل اطار البحث عن هوية الانسان العربي بمعناها الواسع ، والفضفاض ..

بيد أننا هنا سوف نستثني في حديثنا قصتي « فيفا » و « الورم » من التحليل ، وذلك لخصوصية موضوعهما الذي يبعدهما عن موضوعنا المباشر : أدب النبوءة الباحث عن هوية .. ومع ذلك فلهما مقوماتهما الانسانية والفنية الطيبة .

أهم هذه القصص هي قصة « ايامي في جزيرة شاور » ويسميها الكاتب بالقصة المحاضرة ، لانه كما يخبرنا ، القاها في احد النوادي العربية ، او هو يتخيل نفسه جلس يحكي عن جزيرة اسمها شاور من جزر الخليج ، ومن خلال الحكي يستعرض واقع هذه الجزيرة ويحكم على المستقبل في ضوء ما وصل اليه وما عرفه .. قد يكون ذلك اسلوبا ملونا في العرض والبناء القصصين - وهو بالفعل كذلك - بيد أننا لا نستطيع ان نفصل ذلك عما فعله الكاتب في قصته « فارس مدينة القنطرة » والتي نشرت في مجموعة بهذا الاسم (٥) حيث وضع تجربته القصصية من خلال مخطوطة اهداها له صديق ، وقبل ان يسرد ما في

المخطوطة وحوادثها الرمزية (٦) . بيد انه يبتكر اسلوب المحاضرة هنا لينفذ بسهولة ، ويتسلل بيسر الى ذهن القارىء ..

وقد يسلك البعض هذه القصة في أدب الرحلات ، وهذا صحيح الى حد ما ، بيد ان ما يجري من صراع بين المهاجرين الزاحفين ، وبين ابناء الجزيرة المقيمين ، هو ما يقصده الكاتب ويعنيه ويدخله في نطاق أدب النبوءة ..

وقد سبق للدكتور العجيلي ان كتب قصة عن فلسطين اسماها « نبوءات الشيخ سليمان » ضمن مجموعته السابقة « فارس مدينة القنطرة » وألح فيها بحسه المرهف وتجربته المكثفة الى الاجابة عن السؤال الازلي الابدي ، الملح ، في دنيا العرب ، متى نحرر فلسطين ؟ عندئذ اجاب الدكتور عبد السلام العجيلي بوحي حدسه وخلاصة تجربته ان فلسطين سوف تحرر عندما نتحرر منذواتنا المريضة والعفنة، وبعد ان يكف الاغبياء والحمقى والمهرجون والتجار عن قيادة الساحة..

« ... بعد ان يموت الناس ويحترق التراب ، ويحكم الفاشل ثم العاجز ، ثم الخائن ، ثم الفاجر ، تهتز جنبات الارض وتحبل الامة بالالم لتلد المنقذ .. هل فهمت ما اقول ؟ »

« .. نعم سيأتي الحاكم الذي يبيع فلسطين ، ثم الذي يدفع مالا ليتخلص من فلسطين ، بل لعل هؤلاء قد أتوا وهم يقودوننا ونحن لا ندري .. » (٧) .

لا فارق لدى العجيلي بين فلسطين والخليج في جوهر الضياع ، وان لم يحدد طبيعة الخلاص هذه وذاك .. يؤكد ان كليهما حق عربي ، بيد انه يجب ان نتدارك ما فات (كيف ؟؟) ونبتهل الفرصة التي ما زالت سانحة بالنسبة للجزر المعرضة للضياع .. فاذا كنا لم نتدارك فلسطين في حينها حتى وقعت في ايدي الغزاة الطغاة ، فان جزر الخليج مهياة لان تضيع ايضا ، ويبدو ان نبوءة العجيلي قد تحققت الى حد كبير يوم ضاعت جزر طنب الكبرى والصغرى وأبي موسى .. لقد صحا العرب ذات يوم فوجدوها ضائعة بقوة القهر والسلاح .. واذا كان الضياع بالقوة المسلحة امرا يحتمل تجنبه ، فان الضياع بالغزو السلمي ـ الهجرة ـ حقيقة لا شك فيها ، ولا يمكن تجاهلها او تجنبها !.. انه نبوءة تتحقق بتؤدة وثبات واصرار !

« وفي الحقيقة ماذا تكون جزيرة شاور بسكانها الخمسة آلاف او الستة آلاف ، امام ما ضاع منا بعدها وما نخاف عليه الضياع بعد ؟ ربما كان هذا ما جعلني اختار ذكرياتي عن جزيرة شاور موضوعا لحديثي امامكم ، وان اختار الحديث عنها في هذا النادي الذي اذكر عنه دوما انه كان يزين جداره بسجل ذهبي للثورات التي انتفضت بها الامة العربية في ارجائها المتفرقة في هذا القرن . لو ظل هذا السجل مكانه الى اليوم لكان من المحتمل ان يحتوي بين اسماء الثائرين اسم صديقي الشيخ يحيى بن حديد . ام لعل اسمه كان يسجل على الحائط المقابل في سجل الثورات المضادة ؟ ليس من السهل ان نفرق اليوم بين الثورة والثورة المضادة ، ولا سيما في احداث جزيرة شاور التي يختلف الحكم عليها حسب وقوف من يصدر الحكم في هذا الجانب من الخليج او ذاك . مياه الخليج في هذه الحالة مثل جبال البرينة التي يغير اجتيازها مدلول الحقيقة على ما قال « باسكال » : حقيقة ما دون البرينة ، خطأ ما وراءها » (٨) .

كانت هذه الجزيرة فقيرة تعتمد على الصيد ، وتسكن في أكواخ من القش والجريد ، وبها برج للتنقيب عن البترول.. ومع الحياة السيئة كانت قلة من السكان تسكنها وهم آلاف خمسة او ستة ، بيد ان الحاضر عندما تغير ، تغير حال الناس وحال الجزيرة فتضاعف السكان اضعافا بفعل الهجرة ، وارتفعت بنايات ، وتطورت دار الشياخة (بيت الحكم) واضحى هنالك مجلس شورى وحرس للجزيرة ، و ... مهد ذلك كله للعلاقة القائمة بين صعوبات التطور في الجزيرة ، وبين واقع اهلها الذي يسوده صراع مرير بين الاهالي الاصليين ، والوافدين من ايران والهند وغيرهما ..

وتظهر من جديد خلال هذا الصراع قضية قديمة ، وهي قضية الشعوبية ، فتلعب لعبتها في تحويل هذا الصراع الى وجهة دموية تفوق نيران الفرقة والعداوة والبغضاء بين الاخوة خاصة من قمة السلطة بين الاخوين الحاكمين الشيخ : يحيى بن حديد ، ودحمان بن حديد.. وتعتمد الشعوبية في لعبتها على ان الاول من ام عربية والآخر من ام غير عربية .. وهذا يذكرنا بقصة هارون الرشيد وولديه الامين والمأمون ، وما فعله البرامكة والاتراك في اثارة الفتن والخلافات حتى أتوا على الدولة الاسلامية ومجدها ، فتمزقت وصارت دويلات هزيلة انحدرت الى عصرنا المشحون ، فورثنا التركة المثقلة بالاشجان والاحزان والاسى !

تتوتر احداث جزيرة شاور ، ويتعصب الشيخ دحمان للوافدين ، ويحارب الفكر التقدمي الانساني الذي يحمله أخوه الشيخ يحيى بن حديد .. فيستقر رأيه على قرار .. وذات مغرب يفجر الاحداث فيأمر اخاه وراوي القصة بمغادرة الجزيرة ، ويكون السمع والطاعة تحت وطأة الغلبة القاهرة .. فيتركان الجزيرة نهبا للوافدين ، وتحت رحمة الاقدار ورغبة الحاكمين على الجانبين من الخليج !..

لن نستطيع ان نورد كل تفاصيل القصة ، فكل كلمة فيها ذات مدلول ، ولها مغزى .. ولا يمكن لنا هنا الا ان نستخلص العبرة النبوءة التي اراد الكاتب ان يصوغها من قالبه القصصي .. ولعله في البيت الشهير التالي نجد اساس النبوءة ، وأسها ايضا :

« ابك مثل النساء ملكا مضاعا   لم تحافظ عليه مثل الرجال »

واذا كانت النظرة الى الملك تختلف عن ذي قبل ، فان الجماهير في زماننا مطالبة بالحفاظ على الوطن .. الملك .. ولعل المشهد الاخير لمغادرة الجزيرة يوحي بتلك المأساة الحزينة التي انتهت ـ رغم عدم اشارة الكاتب صراحة ـ الى نهاية محزنة بالضرورة ، وهي : « الضياع » .. ضياع الجزيرة .!

« كنا نوغل شيئا فشيئا في عرض البحر . همهمة محرك الزورق كانت تملأ مسامعنا ، وحولنا اشباح مصطفة على جوانب الزورق لرؤوس حراسنا المكلفين بنقلنا الى الكويت او الى اي بلد آخر . هذا مصير الشيخ بن حديد الذي ساهمت في صياغته مساهمتي البينة . ومع ذلك فلعله مصير اكثر وضوحا واطمئنانا من مصير جزيرة في يد العصابة التقلطية التي اصبحت لها لقمة سائغة . انه ، اي الشيخ يحيى ، سيكون واحدا من هؤلاء المزحزحين عن عروشهم المطرودين من بلادهم ، متطلعة عيونهم الى حدود هذه البلاد تراودهم الآمال بين كاذبة وحقيقة من استعادة امجادهم فيها ، اما جزيرة شاور فمن يعرف على التحقيق أي مصير سيكون لها ؟ غير كونه مصيرا اسود ، قاتم السواد ؟ » (٩) .

بذا يكون الدكتور العجيلي قد أبرأ ذمته امام التاريخ بنظرته النبوءة .. ولكن هل كان ذلك على حساب العمل الفني ؟

لقد رأى بعض الناس ان قصة « فارس مدينة القنطرة » لا تعدو ريبورتاجا صحفيا ، رغم التناول الرمزي فيها ، بيد أننا نرى الكاتب في هذه القصة وتلك يحافظ على مقومات القصة رغم جنوحه الى الصوت المباشر في العرض والاداء .

واذا كان عنصر النبوءة يتحول الى عامل رصد في قصته « الحاجان » فاننا نجد لدى الكاتب رؤية واضحة ومتكاملة ازاء الواقع القومي .. بل ادانة لهذا الواقع الفاسد المهترىء والمستخزي والعاجز عن الحركة والمغامرة !

تدور حوادث القصة بين « البرازيل » ـ حيث المهجر العربي للكثيرين ـ وبين « بيروت » ميناء العائدين الى ارض العروبة في الشرق .. محمد عبد الستار ، وانطونيو بن ابراهيم بن متى مهاجران يتوقان للحج .. الاول الى مكة ، والثاني الى القدس .. يقول انطونيو :

« لم يكن زين قاسم ، شريك صاحبنا عبد الرضا ، صادقا في تقديراته . حين كان عبد الرضا يرسم لي خط السير الى بيت الخوري

يعقوب ، كان زين قاسم يقول : سنة ٦٦ ؟ لا خير في الناس الذين هناك اذا كان اخونا انطونيو يذهب الى الرامة متسللا عبر الجبال في تلك السنة ! سنة او سنتان تنفتح امامك كل الطرق ، هناك يا انطونيو .. لو كنتم مثلي تقرأون جرائد البلاد وتسمعون اذاعاتها الموجهة الينا لعرفتم هذا . مسكين زين قاسم . بل مسكين أنا .. نحن الآن في سنة ٦٨ ، حتى طريق عبد الرضا اصبح مسدودا في الوصول الى الرامة . ثم ان الخوري يعقوب مات . هكذا خبرني الشيخ من بيت راضي الذي لقيته امس في مقهى فلسطين . مات واستراح .. اما الاحياء هناك فلم يستريحوا اذا لم يكونوا في السجون ، فهم ممنوعون في الخروج من الدور بعد مغيب الشمس وفي كل خطوة مطلوب منهم تصريح .. وفي كل اسبوع عليهم اثبات الوجود ... » (١٠) .

يتكلم انطونيو الى محمد عبد الستار ... « انت يا محمد ستحج .. غصبا عنك سأضعك في احدى الطيارات التي تقصد « جدة » او مدينة النبي ، ولكن ماذا افعل أنا ؟ حتى مدينة القدس اصبحت محرمة علينا يا اخي محمد . وكنيسة القيامة في الفصح محرمة علينا ، ومحرمة علينا كنيسة المهد في بيت لحم كذلك علي وعليك يا اخي محمد » ... أي حزن ذلك الذي يحسه من جاء من بعيد ليحج الى مقدساته فلا يقدر ؟ أي شعور بالقهر والهوان والذلة ذلك الذي يرى ارضه المباركة على قيد خطوات ولا يستطيع .؟ يصر انطونيو انه سوف يقول لهم هنالك بعد عودته لا تنادوني باسم الحاج انطونيو ، لاني لم استطع ان احج والسبب معلوم .. اما محمد عبد الستار فقد ملأ الحزن قلبه ، ولم يقل شيئا ، رثى له .. بعد هذه الاسفار والمشقات برا وبحرا من برازيليا الى بيروت ، لا يقدر على الوصول الى الرامة ، ولا ان يدوس ارض فلسطين !!!

« ألم نتواعد على ان الحقك الى بيت المقدس في نيسان لاصلي في المسجد الاقصى وازور الصخرة الشريفة في هذا الصباح ؟ حين كنت في زيارة اهل كيرة قال لي عمها : ان هذا العام حج اكبر ، وان ملايين المسلمين سيرفعون ايديهم الى السماء وينادون : لبيك اللهم لبيك ، عبيدك بين يديك ، نوالي من والاك ، ونعادي من عاداك . لو استطعت يا انطونيو لوقفت هناك في وسطهم (. . . . .) قلت لا أنا ولا انطونيو نستطيع ان نزور بيت المقدس ، لان اعداءك اليهود قد سدوا علينا فيها الطريق ، وهم حفنة هناك ، ونحن ملايين هنا » (١٢) .

يتجه الدكتور العجيلي اذن الى منطق الادانة الصريحة والواضحة دون لف او دوران ، وتلك لعمري اية الاصالة لدى الكاتب . انه يقول الكلمة : الضرورة ، الكلمة الموجعة ، ولكنها الحقيقة من غير ان يلجأ الى الغموض او الابهام .. يلجأ بعض الكتاب الى المداراة في قول الحقيقة العارية لاعتبارات شتى ، وحين يتحول الكاتب الى مدار ومداهن وغامض ، فانه يسقط من عالم الاصالة الى درك سحيق . لان الكاتب عليه ان يستلهم الوحي من العقيدة ، والقرآن من المصحف الشريف ، وكلاهما واضح لا ينطق عن الهوى ، لانهما الحق من لدن الحق ...

منطق الحق اذن عودة الى الذات ، تنبيه لها ، بعث لمكنونها المطمور تحت طبقات النسيان والقهر والاسى المرير ! قد يسألنا بعض الناس : أليس ذلك نوعا من التعصب والشوفينية التي أصبحت لا تتواءم مع العصر ؟ ونحن نقول : ان الانتماء الى الذات العربية ليس تعصبا ولا شوفينية ، وانما هو منطلق نحو تحقيق هذه الذات على المستوى الانساني ، فتأخذ حقها من فيض الطبيعة ، وتعطي ما تسخو به للانسانية جمعاء ، دون ان تذوب في بحار الغربة والتيه ، وتفقد ملامحها ومقوماتها ، وتتحول الى عالة وعبء على الانسانية جمعاء .

وفي زمننا الاجرب لا بد ان نصوغ اشياءنا – ومن بينها الكلمة – وفق منطق الطبيعة لنستعيد هويتنا الضائعة وشخصيتنا المفقودة بفعل الاعاصير الاستعمارية الغازية ، وسوف يتحقق لنا على ضوء التلاؤم بين منطق الطبيعة ومنطق الفن مفاهيم ادبية ، وقيما فنية تسهم في تشكيل الذات العربية الباحثة عن هويتها ، والنافضة عن جفنيها الوسن الطويل :

يدلف بنا الدكتور العجيلي – بعد ان شغلته هموم قومية – الى اشجان محلية ، فيضع امامنا قصتيه « الجدب والطوفان » و « حكاية مجانين » وبين القصتين رابطة وثيقة وآصرة قوية .. فهما ترصدان عذاب الانسان في البادية السورية ، وتحتضنان احزانه التي لا تريم ..

« الجدب والطوفان » معادلة هندسية بين الري والظمأ ، والشبع والجوع ، والروح والمادة ، والممكن والواقع .. هذا البدوي الذي يتمسك بنعجاته في قلب البادية ، يصر عليها باسنانه كأبنائه تماما ، لا يتركها رغم انعدام الماء والكلأ والظل .. انه لا يفرط فيها .. يبحث عن رحمة لها ، ولا يسأل في ذاته المشوبة على رمال الصحراء ، وتحت هجير الشمس الحارق .. ماذا يصنع هذا البدوي عندما يفيض النهر ويحاصره وتهبط الهليوكبتر لتنقذه فيصر على انقاذ النعاج اولا ؟ هنالك علاقة ما بين الحيوان والانسان في تلك البادية ..

ايضا هنالك مقابلة اخرى نجدها لدى مصلح « عامل الفرز » في محلجة القطن .. « لا الشمس تشوي جلدك ، ولا النهر يهددك بالغرق .. معاشك مضمون تستلمه غدا ونقدا مساء كل خميس .. » (١٣) .. بيد ان مصلح يفقد هاهنا – حيث المرتب المضمون – روحه وحريته : « اما هنا فانه جليس ، جدران المحلجة عالية وعنابرها مظلمة وهواؤها مشحون بالغبار والوسخ ، ليس كغبار البادية الطلق ، بل غبرة مخنوقة تتمعج فيها ادبار القطن الدقيقة ، كانها الآن آلاف الديدان في ماء راكد عفن . عمل لا يطاق . وجو لا يطاق لولا .. لولا زنوبة » (١٤) .

قد تعبر زنوبة عن الجانب الحضاري الرديء الذي يبهر من بعيد، ولا يلبث ان يظهر على حقيقته عند القرب منه ..

ان التعبير عن عالم البادية وعالم المدينة في ارض سورية وما فيها من اسى دفين ، قمين بأن يجعل الدكتور عبد السلام العجيلي مؤرخا فنانا للواقع الراهن هنالك . وهو واقع يجعلنا بالضرورة ننظر الى داخلنا ونبحث عن ذاتنا التي تتمزق تحت وطأة الحرمان والجوع .. ولنا بعدئذ ان نتنبأ بما سوف يجري لو استمر الحال على هذا المنوال من النظر والبحث .. سوف تكون النتيجة ايجابية بالضرورة .

اما « حكاية مجانين » فهي قصة مشحونة ، ولا تبتعد عن « الجدب والطوفان » كثيرا ، وان كانت تروي الواقع المظلم للعلاقات الصدئة بين افراد المجتمع ، ومعاناتهم في سبيل الرزق ، والانسجام الوجداني . والناس هنا لهم صورتان .. صورة خارجية امام بعضهم البعض ، وصورة داخلية فيما بينهم وبين انفسهم .. والفارق بين الصورتين شاسع للغاية ، فهذه صورة زائفة ، وتلك صورة صادقة وان كانت ملأى بالمرارة والالم !

تبدأ القصة بالفتاة المجنونة « جميلة » – او التي يقولون انها مجنونة – تقف على الطريق بين حميمة وجب الصفا على طريق حلب.. يقال انها كانت مخطوبة لشاب ، ولكن اقطاعيا من أهل الناحية افقدها عقلها ! فكان جنون ، وكانت ملابسات ، وكان وقوفها في وسط الطريق من مطلع الشمس الى مغربها ترصد العربات بمنظرها المثير للشفقة والاسى ! يراها ركاب السيارة التي تضم ابطال « حكاية مجانين » ، فيتناوبون الكلام . القاضي ، وصاحب الكميونات العجوز ، وزوجته الشابة ، والسائق وآخرين .. يتنقلون بين حديث المجنونة وقصتها وبين عادات اهل البادية واهل المدينة يشتكون اشجانهم ويطرحون احزانهم ، ويستلهمون من قصة المجنونة وقودا لمواصلة الحديث ومتابعة الكلام حتى حلب ، خلال رحلة طويلة يقطعونها .. كل الى وجهته ، عندئذ تظهر الشخصية المتميزة لكل منهم بصورتيها ، تتكشف في اذهانهم الوقائع المستورة وتظهر في عيونهم الحقائق الدفينة كما هي ، يقول السائق وهو واحد منهم :

حكاية عمر

الشوق والليل والاحزان ترهقني
واضيعة العمر والحرمان والسأم
حكاية لم تزل تطوى جوانحها
أهواء ثغر على أحنائة نغم
حلم يظل مدى الايام يسكرني
وعاطفات يرويها هوى عرم
يا فتنة في ضمير الوهم شاردة
يفديك قلب شقى هده السقم
اني هنا رهن أشواقي تمزقني
نار الحنين ويدمي روحي الالم
أين الوعود ؟ أتمسي في يدك سدى
وقبض ريح طواها اليأس والعدم

بغداد — عبد الخالق فريد

« ابحث عن قوت عيالي او عن مصروف صاحبتي في المنزول ، لا فرق . لا تؤاخذيني يا اختي على كلام السفاهة .. ولكني في كل الاحوال ابحث وارجع من بحثي بالخيبة . اركض في الليل والنهار ، واقطع الدروب بين البلدان ، مجمعا ورقات ملونة وسخة ـ وكلما ظننتني ظفرت بهذه الورقات رأيتها تتبخر او تهرب من يدي كما يهرب الماء من بين الاصابع . انا مجنون اكثر منها ، من جميلة ، سفر سفر.. رواح ورجوع ، ومثل ما تقولون انتم يا اهل القلم ، ذهاب واياب ..

قال القاضي : عن السفر ، كلنا على سفر ، حياتنا كلها ضائعة بين رواح ورجوع ، وذهاب واياب .

قال السائق : انت يا بك تسافر في وجاهة واحترام ، وتبحث في سفرك عن زيادة الوجاهة والاحترام . غدا تصبح رئيس محكمة التمييز ، وربما صرت واحدا من الوزراء . اما انا وامثالي فنركض وراء الوهم ، مثل جميلة . واذا غفلت لحظة عن طريقي اصبت بما كادت تصاب به هي حين كدت ادهسها ذات مرة .. » (١٥) .

انها صرخة الكادحين والمحرومين والمأزومين امام الشقاء المستمر ، والنعيم الزائف .. وسوف نرى السائق يكمل صرخته « ـ تكرم . لك علينا حق القصة التي سليتنا بها عن تلك المجنونة ، لا تؤاخذوني .. من جهتي انا ، انا اكتشفت اني مثلها ، كما قال اخونا ، المجانين على الدروب كثيرون ، ولكن الدروب مختلفة » (١٦) .

من هنا نرى ان « حكاية مجانين » لا تختلف كثيرا عن « الجدب والطوفان » وتظهر وشيجة الاتصال بينهما وثيقة ، فالجدب يولد الجنون ، وقد جن البدوي من أجل نعجاته العطشى والجوعى .. كما جن السائق والقاضي والرجل الثري وزوجته الشابة وبقية الناس .. ومن قبلهم جميعا جنت « جميلة » . انه الجنون البصير ، او الجنون العاقل ـ ذلك الذي رواه العجيلي ، فالجميع هنا مجنون برغبته او برضاه او برغمه ، وفي جنونهم يرون المفارقات العجيبة بين الواقع والممكن والمستور والظاهر .. تستوي جميلة مع السائق مع القاضي مع الزوجة الشابة والآخرين ...

قد يبين لنا عندئذ لماذا اختار العجيلي هذه الزاوية ـ الجنون ـ ليضع فيها المطمونين مع المرفهين !

لا شك انه يسخر من الواقع ، ويدين التفاوت الطبقي والفراغ الروحي والتخلف العقلي ، ولا ريب انه بسخريته هذه يطمح الى احداث انقلاب في العلاقات الاجتماعية والانسانية والفكرية داخل المجتمع ، ولكن انى له ذلك ؟ ونسبة الاميين في بلادي تزيد عن السبعين في المائة ؟ والذين يقرءون ويكتبون ليسوا كلهم قراء ادب ؟ فاذا كانت اميتهم في القراءة والكتابة قد زالت فان امية الفكر والسلوك لا تعطى الفرصة المرجوة لهذا التغيير ..

في القرن الحالي والماضي كان هنالك في اوربا خاصة انجلترا وفرنسا نوع من ادب النبوءة ، النبوءة العلمية المعتمدة على الخيال ، كما فعل هـ. ج ويلز ، جول فيرن ، وقد اسهمت نبوءاتهما العلمية الخيالية من خلال الادب في اثراء الوجدان الاوربي ودفعته للحركة نحو البحث والدرس على أسس العلم والتجريب . فهل يتسنى لنا نحن العرب ان نتحرك على اساس النبوءات التاريخية والواقعية للبحث والدرس في مصيرنا ومستقبلنا ؟

ان لغة المنطق تحتم علينا ان ننظر الى الواقع بمرارته وقسوته ، وتعود الى ذاتنا لنبحث عنها ونصوغ ملامحها ونشكل هويتها على ضوء نبوءات الادب وتطلعاته وطموحه الذي لا يكف عن التحليق نحو السماء ـ كما فعل العجيلي ـ ودون ان نخاف من الاتهام بالعرقية او الشوفينية .. ويومها سيعرف العالم ان هناك قوما اسمهم : العرب .

---

١ ـ يصعب على الناقد ، فضلا عن القارىء ان يرى رؤية واضحة او متنبئة ، لتسلط الرمزية المعتمة والكثيفة على افكار كثير من الكتاب العرب ، خاصة بعد الهزيمة ، وان كان هذا التسلط قد بدأ في التلاشي تدريجيا بصورة بطيئة .

٢ ـ تعتقد المدرسة الاستعمارية ـ الموالية للفكر الغربي بلا قيد ولا شرط ـ ان ليس ثمة غزو فكري وبالتالي فلا تأثير للفكر الوافد على الامة وشخصيتها !!

٣ ـ مقال « ساعة على الرصيف » ـ الاديب اللبنانية ـ عدد مارس ١٩٧١ .

٥ ـ « موسم البحث عن هوية » ـ ابريل ١٩٧١ ـ مجلة سنابل المحتجبة .

٥ ـ « فارس مدينة القنطرة » ـ صدرت عن « دار الآداب » ـ بيروت ١٩٧٢ .

٦ ـ « اشواق الانسان ومذاق النمل » ـ الاديب اللبنانية ـ اكتوبر ١٩٧٢ .

٧ ـ ص ١٣٧ من « فارس مدينة القنطرة » .

٨ ـ ص ٦٠ ـ ٦١ مجموعة حكاية مجانين ـ صدرت عن « دار العودة » ـ بيروت ١٩٧٢ .

٩ ـ ص ٨٦ ـ ٨٧ المصدر السابق .

١٠ ـ ص ١٧ ـ ١٨ نفس المصدر .

١١ ـ ص ١٨ من نفس المصدر .

١٢ ـ ص ١٩ ذات المصدر .

١٣ ـ ص ٣٨ ذات المصدر .

١٤ ـ ص ٣٩ ذات المصدر .

١٥ ـ ص ١٢٥ من نفس المجموعة .

١٦ ـ ص ١٢٧ من « حكاية مجانين » .

مصر ـ مرقص بحيرة — حلمي محمد القاعود

من عجائب الشرق العربي

بقلم الدكتور صفاء خلوصي

***

لا يزال الشرق العربي ، حتى في عصر الصواريخ الفضائية والمبتدعات العلمية ، ابا العجائب ، وقد عثرت اثناء مطالعاتي المتنوعة على الشيء الكثير منها ، واليك بعضها هنا :

١ – ان اضخم طائر يعيش اليوم هو نعامة بلاد العرب وافريقيا ، فقد يبلغ ارتفاعها الثمانية اقدام ، وتزن ٣٠٠ رطلا (باونا) .

٢ – عرفت شجيرة القهوة البرية لاول مرة في بلاد الحبشة حوالي سنة ٨٠٠ للميلاد ولكنها نقلت من الجنوب العربي حيث موطنها الاصلي منذ القدم ، وقد حرمت في بدء تاريخها لانها اعتبرت من المسكرات .

٣ – وضعت رموز الارقام الحسابية التي يستعملها الاوربيون اليوم في بلاد العرب ولا يزال الاوربيون يسمونها « بالارقام العربية » ولكن العرب انفسهم اهملوها واستعاضوا عنها بالارقام الهندية !..

٤ – في الخليج العربي ادفأ ماء بحري في العالم ، فقد تصل درجة حرارته احيانا الى ٩٦ ف .

٥ – اكتسب البحر الاحمر (غربي الجزيرة العربية) اسمه من ملايين الملايين من الكائنات الحية الدقيقة التي تعيش في البحر ، ولا يكاد يتجاوز حجم احدها ، على انفراد ، حجم ثمرة التوت ، وهي حمراء ، وبمجموعها تمنح هذه المستعمرات الحيوانية الماء لون الحمرة .

٦ – في البحر الاحمر كذلك اشد مياه البحار ملوحة ، لان الشمس المحرقة التي تعلوه تسبب التبخر السريع للطبقة العليا للماء ، واذ تتحول هذه الطبقة الى بخار تترك ذراتها الملحية وراءها في الطبقة التي تليها فتصبح اكثر كثافة واشد ملوحة ، وهكذا !..

٧ – اكثر البحار انخفاضا تحت مستوى البحر في العالم هو البحر الميت ، فهو تحت مستوى اقرب بحر مجاور له وهو البحر الابيض المتوسط بمقدار ١٣٠٠ قدم ، وماء البحر الميت ادفأ من الهواء الذي فوقه .

٨ – اعظم الصحاري في الدنيا صحراء افريقيا الشمالية ، اذ تبلغ مساحتها ٣،٥٠٠،٠٠٠ ميل مربع اي اكثر سعة من الولايات المتحدة الاميركية ، ويتفاوت عمق رمالها من بضع بوصات الى ٣٠٠ او ٤٠٠ قدم ، غير انه من الخطأ ان نتصور الصحراء كلها رمالا ، ففيها العديد من الجبال والواحات ، حيث الماء وبعض النباتات . وفيها كذلك المياه الجوفية ، وقد يصادف احيانا ان يحفر البدو في الرمال بحثا عن المياه العذبة فيعثرون على مياه فيها اسماك يصطادونها وهذه المياه في الحقيقة جزء من انهار تجري تحت الارض .

٩ – لقد احتفظت البشرية بتسجيلات للخسوف والكسوف يرجع عهدها الى ما قبل اربعة آلاف سنة وذلك بفضل قدامى العراقيين المعروفين بالسومريين فاقدم كسوف للشمس دون سنة ٢٢٨٣ ق. م. حيث حصل كسوف كلي فوق مدينة (أور) السومرية في جنوب العراق .

١٠ – يعيش في سوريا حيوان نادر غريب ذهبي اللون ، يلجأ الى البقاع الصخرية الجافة حيث يندر وجود الطعام ، فيختزن اليسير الضئيل مما يحصل عليه في جيبين كبيرين في خديه يمتدان من فمه الى كتفيه .

١١ – التمر من اقدم الاغذية المعروفة لدى الانسان، وكانت نواته تحرق وتطحن . وتستعمل كبديل للقهوة .

١٢ – تسير اسراب الجراد كسحب عظيمة قاتمة مستهلكة كل ما يعترض طريقها من مزروعات ومحاصيل ، وان سربا داكنا من مثل هذه الاسراب مر سنة ١٨٨٩ فوق البحر الاحمر مغطيا مساحة الفي ميل مربع .

١٣ – يقتل التمساح المصري الذي يعيش في النيل من البشر كل عام ، عددا لا يبلغه أي حيوان مفترس آخر في افريقيا كلها .

١٤ – ضب الصحراء المعروف « بسمك الرمل » يتلوى في الرمال الدقيقة كما لو كان يسبح في الماء .

١٥ – يصنع الزجاج عادة بصهر الرمل (السيليكا) والصودا والكلس معا ، والسيليكا هي احدى المواد الموفورة على سطح الارض ، لذلك فقد عرف الزجاج منذ عهود سحيقة في القدم واستعمل لاغراض شتى ، وقد عرف قدامى المصريين صناعة الزجاج قبل ان يشرعوا ببناء الاهرام .

١٦ – في بلاد العرب صنف من الرمال يعرف « بالرمال المغنية » ، اذ سرعان ما تنطلق منها اصوات غريبة عندما يسير عليها الانسان او تسفيها الريح ، ويتراوح صوت مثل هذه الرمال بين القضم البشري وصوت الفئران ، ولكن فيه نغمة موسيقية لا تخطئها ، ونجدها كذلك في جنوبي افريقيا بشكل آخر ، حيث تسمى « بالرمال النائحة » وفي جزر الهوايي « بالرمال النابحة » وفي بلاد الافغان « بالرمال المطبلة » ، ويبدو ان ارقها نغمة هي « الرمال العربية » ولم يكتشف العلماء بعد سبب النغمات الوسيقية المتباينة المنبعثة من هذه الرمال .

١٧ – اعلى درجات الحرارة هي في الصحاري حيث كثيرا ما تبلغ ١٢٠ ف في الظل ، وقد سجلت ذات مرة ١٣٦ ف بالقرب من طرابلس . كان ذلك في الظل وكانت

دوار

أبحر الحائط في مصطخب ... حالك ، والرف بالضوء ارتطم
وجناح طار بي فوق ربا ... وجناح حط بي فوق رمم
وبقلبي كتب ماحية ... وبجفني شبابيك ظلم
وأنا كم فلة ألهو بها ... لا أبالي ما تعاني من ألم
يا دواري ، يا كئوس الغيب ، يا ... ملعب الهاجس ، يا كوخ الفهم
ما الذي تزرعه لي من كوى ... ما الذي تجمعه لي من حطم
أنا أحلام غد مغفلت ... من قيود ، أنا أشواق قمم
لم ازل عاصفة بناءة ... في بلادي ، واساطير قيم
يا دواري ، اقبل الصبح ، ولم ... اغمض العين ، ولم أصح ، ولم

حلب ـ دار الكتب الوطنية

علي الزيبق

درجة الحرارة اشد من ذلك في الشمس .

١٨ ـ الجمل العربي من اعجب الحيوانات في الطبيعة ، ويعتقد بعض العلماء انه سليل حيوان متوحش عاش في عصور ما قبل التاريخ ، انقذه الانسان من الانقراض بتدجينه ، ولا يزال محتفظا بكثير من خصائص سلفه المتوحش الذي عاش قبل ملايين السنين .

وفي العصور الموغلة في القدم ، كانت سهول اميركا الشمالية تعج بصغار الجمال ، بحجم الغنم ، غير انها اختفت من الوجود ، لاسباب مجهولة .

ويظن بعض الباحثين ان الجمل في الاصل حيوان اميركي ، ذلك لان « اللاما » و « الالباكا » و « الجواناكو » و « الفيكونيا » في جنوب اميريكا كلها فصائل من اسرة الجمل .

غير ان الجمل العربي نسيج وحده ، فهو بحق « سفينة الصحراء » اذ خلق للحياة الصعبة الشاقة وللعمل في اجواء حارة رملية قاسية ، فله اسنان حادة تقضم الشوك وتستمرئه ، ويختزن من المياه ما يكفيه لثلاثة او اربعة ايام . يحتفظ بهذا الماء في خزان خاص يستطيع ان يفصله عن معدته ويفتحه حين يعطش ، وبوسع انسجة جسمه كذلك ان تقوم بعمل حجيرات خازنة .

وعندما يبلغ الجمل الاربعة اشهر تظهر له كتلة شحم كبيرة على ظهره تعرف بالسنام ، غير ان عموده الفقري يبقى مستقيما ولا يتقوس لهذا السبب ، ويغطي اخفافه جلد مطاطي يساعده على السير في الرمال المحرقة ، وعلى بطنه وركبه جلد صلب يعينه على البروك والزحف على بطنه اذا شاء .

ولعيني الجمل اطول واجمل اهداب ، خلقها الله ، فهي تحافظ عليهما من الرمال واتربة الصحراء ، ولما كانت له القدرة على ان يفتح ويطبق منخريه كيفما يريد استطاع ان يتنفس وسط العواصف الرملية من غير كبير مضايقة .

وعندما يشرع بالسير يستمر بانتظام كالماكنة بمعدل ميلين ونصف الميل في الساعة .

وقد يتصور المرء ان الطبيعة نسيت ان تزود هذا الحيوان العجيب التركيب بسلاح للدفاع عن نفسه ، والحقيقة ان خزان الماء الذي يستوعب عدة غالونات من الماء بوسعه ان يفرز مادة حامضية عند الضرورة ، فحين ينزعج الجمل او يغضب يقذف برشاش قوي من هذا الحامض السائل الذي يحمل عدوه على الهرب بسبب رائحته الكريهة المزعجة .

١٩ ـ كثيرا ما توجد ينابيع مياه عذبة في البحر بالقرب من السواحل ، وهي تنبثق في العادة من قاع البحر ، فتشق طريقها الى سطحه ، ولما كانت اخف وزنا من الماء الاجاج ، كان من الطبيعي ان ترتفع الى سطح البحر بمقادير تحدث فقاعات ملحوظة .

وهناك ينبوع من هذا النوع بالقرب من سانت اوغسطين على ساحل فلوريدا .

وكثيرا ما تقتنص هذه المياه العذبة ويستفاد منها في الاماكن التي يعز وجودها ، فسكان البحرين في الخليج العربي مثلا يغطسون الى قاع البحر بالقرب من بعض هذه الينابيع ويغترفون الماء العذب في اوان خاصة ، وكذلك يفعل بعض سكان الجزر في البحار الجنوبية .

ألسنا بعد هذا كله محقين حين نقول : « ان الشرق العربي لا يزال أبا العجائب » .

لندن

صفاء خلوصي



محمود الحسنية

ادب النعـــــال

بقلم محمود الحسنية
امين سر جمعية المكتبات اللبنانية

***

لا يثير ادب النعال في جميع اشكاله والوانه صورا تظهر التورية ، والسخرية ، والقذع ، والتجريح ، والدعابة فقط . فهذه المادة الغزيرة التي استهوت الشعراء قديما وحديثا ظهر جلها في نقد الامور السياسية الرصينة ، ومعالجة الشؤون الاجتماعية المتزنة ، والكتب العربية المشرقية منها والمغربية تضم الكثير من هذه الاشكال والالوان المنوعة ، والتنقيب عنها لا يرافقه الجهد المضني، انه اشبه بمسيرة المرأة العنت وهي تطوف حوانيت النعال لتختار حذاء يناسب القالب ، والاناقة والرشاقة والذوق . ولمتاجر النعال في وقتنا هذا قيمة متعاظمة وخاصة النسائية منها ، وقيل ان تاجر احذية في شارع الحمراء من مدينة بيروت دفع تكاليف متجره من خلو وهندسة داخلية ، مليون ليرة لبنانية .

ان تعاظم قيمة هذه المتاجر مصدره نشاط هذه التجارة الرابحة وارتفاع اسعار الاحذية الانيقة ، حيث اصبح ثمن حذاء منها يكفي لشراء عشرات الكتب الادبية. وانه لمن المؤسف ان نرى الكثير من حجر البيوت تتسع لبضعة ازواج من هذه الاحذية المنضدة اللماعة ترصف في دواليبها ، ولا تتسع لرف واحد من الكتب يحشر في زاوية مظلمة ...

مسكين هو الكتاب ... انه يمني النفس بمناسبة « العام الدولي للكتاب » ان يحتل مكانها ، حتى منائر الادب العربي الرصين افردت للنعال فصولا فيها الكثير من اثرة في ميزة الوصف الجميل :

قال الهذلي يصف حذاءه من صنع صديقه دبية :

حذاني بعدما خذمت نعالي   دبيـة انـه نعم الخليـل
بموركتين مـن صلوى مشب   مـن الثيران عقدهمـا جميـل

وقال امرؤ القيس في قوم منهزمين :

كانهـم حـرشف مبثـوث   بالجـر اذ تبـرق النعـال

وقال ابو العلاء في وصف مطايا تخلفت عن السير لضعفها :

قوم اذمت بهـم ركائبهـم   فاستبدلوا مخلق النعال بهـا

وذكر ابو نواس الشباب فقال :

كان الشباب مطية الجهـل   ومحسن الضحكات والهزل
كان الجمال اذا ارتديت بـه   ومشيت اخطر صيت النعـل .

وكان احمد بن سعيد يؤدب ابن المعتز فتحمل البلاذري على قبيحة ام ابن المعتز بقوم سألوا ان تأذن له ان يدخل الى ابن المعتز وقتا من النهار فاجابت او كادت تجيب ، فغضب ابن سعيد منها واعتكف في منزله فكتب اليه ابن المعتز وله من العمر ثلاث عشر سنة :

اصبحت يا ابن سعيد خدن مكرمة   عنها يقصر مـن يحفى وينتعـل
سربلتني حكمة قد هذبت شيمي   واحجبت نار ذهني فهـي تشتعل
اكون ان شئت قسا (١) في خطابته   او حارثا (٢)وهو يوم الحفل مرتجل
وان اشا فكر زيد (٣) في فرائضه   او مثل نعمان(٤) لما ضاقت الحيل
او الخليل (٥) عروضيا اخا فطن   او الكسائي (٦) نحويا لـه علل
تغلو بداهة ذهني فـي مراكبها   كمثل مـا عـرفت آبائي الاول
وفي فمي صارم ما سله احـد   من غمده فدرى ما العيش والجدل
عقباك شكر طويـل لا نفـاد لـه   يبقـى بجدته مـا اطت الابـل

النعال وحكم الحياة

من هذه الحكم قال ابو يعقوب اسحاق بن حسان الخريمي :

ودون النوى في كل قلب ثنيـة   لها مصعد حزن ومنحدر سهـل
وود الفتى فـي كـل نيل ينيله   اذا ما انقضى لو ان نائله جـزل
واعلم علمـا ليس بالظن انـه   لكل اناس مـن ضرائبهم شكـل
وان اخـلاء الزمـان غناؤهـم   قليل اذا ما المرء زلت بـه النعل
تزود مـن الدنيا متاعا لغيرهـا   فقد شمرت حذاء وانصرم الحبل

النعال في الرثـاء

مر بقبر عمرو بن حممة الدوسي الازدي ، وكان احد ممن تتحاكم العرب اليه ، ثلاثة من اهل المدينة وهم في طريقهم من الشام ، ابو كلثوم الهدم بن امرىء القيس بن الحارس

---

١ ـ قس بن ساعدة الايادي وقد اعجب النبي الكريم بشعره .
٢ ـ حارث بن حلزة البشكري .
٣ ـ زيد بن ثابت الانصاري سبق اهل العراق في الفقه .
٤ ـ ابو حنيفة النعمان .
٥ ـ الخليل بن احمد الفراهيدي او الفرهودي .
٦ ـ الكسائي علي بن حمزة الكوفي .

بن زيد ، وعتيك بن قيس بن هيشه بن معاوية ، واخوه حاطب ، الذي كانت بسببه حرب حاطب . فعقروا رواحلهم على قبره ورثوه .

ومما قال عتيك مرثاة من سبعة ابيات مطلعها :

برغم العلا والجود والمجد والندى	طوال الردى يا خير حاف وناعل
لقد غال صرف الدهر منك مرزءا	نهوضا باعباء الامور الاثاقل
يضم العفاة الطارقين فناؤه	كما ضم ام الراس شعب القبايل

وقال المتنبي في رثائه الشهير لوالدة سيف الدولة الحمداني سنة ٣٧٧ هـ :

نعد المشرفية والعوالي	وتقتلنا المنون بلا قتال
وليست كالاناث ولا اللواتي	تعد لها القبور من الحجال
ولا من في جنازتها تجار	يكون وداعها نفض النعال
مشى الامراء حوليها حفاة	كان المرو من زف الرئال (٧)

النعال والتقريع

قال الغراء في ذم قوم :

قوم اذا اخضرت نعالهم	يتناهقون تناهق الحمر

وقال ايضا :

قوم اذا نبت الربيع لهم	نبتت عداوتهم مع النعل

وقال ابن ميادة عن رجل شتم اعراض كرام القوم وتودد الى السوقة :

يشنظر بالقوم الكرام ويعتزي	الى شرحاف في البلاد وناعل

الفرزدق يهجو جريرا

الست كليبيا اذا سيم خطة	اقر كاقرار الحليلة للبعل
وكل كليبي صفيحة وجهه	اذل لاقدام الرجال من النعل

النعال والمداعبة

قال طانيوس عبده الكاتب والروائي الشهير في مداعبة صديق له :

لنا خليل بات من اجله	كل يروم البعد عن خله
قالوا ولكن الفتى عاقل	وعقله يظهر من فعله
قلت نعم ! مذ كان في رأسه	لكنه دب الى رجله
الا تراه قاصرا همه	على افتقاد الصقل في نعله

اللغة والنعال

النعل والنعلة ما وقيت به القدم من الارض ، وصفها ابن الاثير بالفرد ، والفرد هي التي لم تخصف ، ولم تطارق ، وانما هي طاق واحد ، والعرب تمدح برقة النعال ، وتجعلها من لباس الملوك . وكانوا ينهون النساء عن لبس الخفاف الحمر ، والصفر ويقولون هي من زينة نساء آل فرعون ، قال الجوهري : النعل ، الحذاء ، وتصغيرها نعيلة ، وقال ابن بري : من يكن الحذاء (بتشديد الذاء) اباه تجد نعلاه .

وانعل الرجل دابته ، وقى حافرها .

والنعل من جفن السيف ، الحديدة التي في اسفل القراب . ونعل السيف حديدة في اسفل غمده ، مؤنثة

وقال ذو الرمة :

الى ملك لا تنصف الساق نعله	اجل لا ، وان كانت طوالا محامله

وكان يصنع نعل السيف غالبا من فضة ، والنعل الرجل الذليل ، يوطأ كما توطأ الارض ، وقال القلاخ :

شر عبيد حسبا واصلا	دارجة موطوءة ونعلا

وقال ابن منظور : انتعل الرجل الارض اذا سافر راجلا ، والمنعل والمنعلة الارض الغليظة ، وقال سويد بن عمير الهذلي في نساء سبين :

وكن يراكلن المروط نواعما	بمشين وسط الدار في كل منعل

والمروط هي الاثواب الطويلة الفضفاضة .

وقال ابن بري يقال لزوجة الرجل هي نعله ونعلته وانشد للراجز :

شر قرين للكبير نعلته	تولغ كلبا سؤره او تكفته

النعال والهوى

اجتمع جميل بن معمر العذري ، بعمر بن ابي ربيعة المخزومي ، فانشده جميل قصيدته :

لقد فرح الواشون ان صرمت حبلي	بثينة او ابدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا ... يا جميل، وانني	لاقسم مالي عن بثينة من مهل
خليلي فيما عشتما هل رأيتما	قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

فلما اتمها قال لعمر : يا ابا الخطاب ! هل قلت في هذا الروي شيئا ؟..

قال نعم !... ثم انشده :

جرى ناصح بالود بيني وبينها	فعرضني يوم الخصال الى قتلي
فطارت بحد من فؤادي وقارنت	قرينتها حبل الصفاء الى حبلي
فما انسى م الاشياء لا انسى موقفي	وموقفها يوما بقارعة النخل
فلما توافقنا عرفت الذي بها	كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
فعاجت بامثال الظباء نواعم	الى موقف بين الحجون الى النخل

النعال وقرض الشعر

قال عبد القادر العمري من قصيدة قوامها ٤٧ بيتا في تقريض ديوان نابغة لبنان الشيخ ناصيف اليازجي ١٨٠٠ — ١٨٧١ :

وقفت ومني العين في موضع الرجل	على نبذة من شعر ناصيف ذي الفضل
لاخمصه هام العلى موطىء النعل	وطأطأت اجلالا لها رأس شامخ
وعقلي عني ذاهل من بني ذهل	فرحت لدى الامعان فيها كانني

وقد اجاب الشيخ ناصيف بقصيدة من الوزن والقافية :

ورد الشيخ عبد الهادي نجا الابياري مفتي المنوفية بمصر على قصيدة للشيخ ناصيف اليازجي فقال :

خذو حذركم من نظرة الحدق النجل	فكم ارشفت بالصب نبلا على نبل
فتاة تساوي ثغرها وعقودها	ونظم الفتى ناصيف في الحسن والشكل
همام له لهو بكشف القناع عن	حسان المعاني لا الحسان من النجل
له باكتساب المجد والفخر والثنا	ونيل العلا شغل عظيم عن الشغل
بعزم يريك الغضب قضبا وهمة	تريك الثريا كالشراك من النعل
اجل الورى قدرا واطولهم يدا	واعدمهم في الفضل للند والمثل

وبعث الشيخ ناصيف بقصيدة الى بعض اصحابه من العلماء تمامها ٢٢ بيتا تظهر فيها عفة نفسه وكرم

---

٧ — اي كأن الحجارة كانت من وبر النعام .

جــدال

راحت تجادلني في وصف مـــا صنعت ... عيناي فيها ، وما في الوصف من عجب
فقــد رأيت سناهــا وهــي ماثلــة ... كالبدر يختــال بين الغيــم والسحب
والقد غصن نقــا ، والعين هاتفــة ... في حكمهــا الامر بالاشواق والنصب
قالت : اما تقتصد في وصف زاهــدة ... وأنت تعلــم مــا للصب مــن أرب
قلت : انظـري بعيونـي وهـي رانيـة ... تريك مــا فاق حسن الـدر والذهب

ضل الرشاد سبيلـي والهــوى عجب ... تدعى الهزيمـة فيــه حسن منسحب
هــذا مكانــك بــين الجفـن موضعه ... في حــين قلبـي بـين النــار واللهب
ولا أزيــدك بالاشــواق معرفــة ... فأنت فــوق مراقي العلــم والادب
يــا حسن راغبـة عــن وجـد عاشقها ... وطيــب دانيـــة بالوصـل لــم تجب
وعــز أمنيـــة هيهات أدركهــا ... ومــا انتهــى أربــي الا الـــى أرب
اظـل ألقــاك فــي صحـوي وفي حكمي ... وليس يعلـم غير اللــه مــن نصبي
وطال مــا ابتغـي غيـر الـرؤى أمـلا ... وليس مــا في الطـلا تلقاه فــي الغيب

رضاك شمس الدجى يجلو الورى أبدا ... وأنت بــدر الدجــى للتائـه التعب
بحــق مــن أرسل الانسام عابقــة ... بطيب نفحك فــي نشر وفــي حجب
لانت فــي مسمعي لحــن يهش لــه ... قلبي وينزع مــا في النفس مــن ريب
رقيقة الخطو ، لــو شاءت لخفتهــا ... رقصا على الزهر لــم يذبل مــن اللعب
فيــك المحاسن لا تنفــك آســرة ... ان بــان مــا اضمرت او كان في الغيب
وحسنك اليوم فــي عينــي مملكــة ... لا علم لــي باسمها فــي عالــم عجب

القاهرة — احمد عبد المجيد

خلقه ، مطلعها .

قف بين ريحان العقيق وضالــه ... وقل السلام على العقيق وآلــه
من كان يهــوى الغانيات فانني ... اهوى الذي ليست تمــر بباله
الخائض الغمرات لــم تبلل لــه ... قدما ولــم تقطع شراك نعالــه
سباق غايــات ينــال بفعلــه ... ما لا ينــال سواه فــي آمالــه

النعــال والعمــل

ويظهر شاعر العراق الكبير معروف الرصافي ١٨٧٥ – ١٩٤٥ فضل العمال على البلاد في قصيدة له :

كل ما فــي البلاد مــن اموال ... ليــس الا نتيجــة الاعمــال
صاح ماذا تجدي الدنانير لــولا ... همــم الدائبين فــي الاشغال
افتاتــي مــن الطعــام بديلا ... افتقنــي عــن كســوة ونعــال

النعال والخشوع في ارض النضار

وقال بولس سلامه في ملحمته « عيد الستين » التي اهداها بتاريخ ٨ – ١٢ – ١٩٦٤ الى صديقه خليل رامز سركيس مخاطبا ارز لبنان :

يا ارز كم يممت ظلــك ناشدا ... وحــي البيان فجدتني بعطــاء
ايقظت في نفسي الخشوع كانني ... صوفــي هيكــل سحــرك الوضاء
وهممت اسلك في ترابــك حافيــا ... كيلا يمــر علــى النضار حذائــي

وقال طانيوس عبده ١٨٧٠ – ١٩٢٦ مــن قصيدته في لبنان :

يــا طــود لبنان العظيــم الشان ... يا باقيا علـــى الزمان الفانـــي
يا ضاحكا عـــلى بكـــى الثكلان ... ويـــا مبيــد الهــم والاحــزان
من صدر كــل متعب وعاني

كــل جبــال الارض مهمــا تعلــو ... فانهـــا لاخمصيـــك نعـــل
قـــد قدستك الانبيـــاء قبـــل ... وقد مشت قدمــا اليك الرسل

تستنزل الوحي من الرحمن

عجالة متواضعة اسوقها الى مجلة الاديب الغراء ، سفيرة الادب في العالم العربي ، لتلحــق بمجموعة « ادب النعال » التي يتابع اصولها ، وينمق سطورها وفصولها ، ويزيدها بهاء « وثراء » الاديب العلامة وديـع فلسطين ، السباق الى المكارم الخلقية ، وصاحب الهمـم في الكشف عن الفوائد الادبية .

محمود الحسنية

اندس اللص وسط الجمع الغفير من الناس الذين هرعوا الى اقرب مدخل عمارة توسموا فيها المتانة والضخامة معا ، ذلك عندما دوت صفارة الانذار ، ثم وقفوا والصمت يرين عليهم ... بينما بات مدخل العمارة يعج بخفقات القلوب المرتعدة ... في حين اخذت مدافع العدو في قصف المدينة الجريحة ... من بور توفيق جنوبا الى الجناين شمالا كانت السماء تتأجج بالنيران ...

وكانت المعركة بمثابة نسيج العنكبوت الذي يطوق الفريسة ، ويشل حركتها ليجعل منها لقمة سائغة لتلك الحشرة الرهيبة ...

وما الفرق بين الانسان وتلك الحشرة البغيضة ، طالما ينحو نحوها ...!؟ اذ خرج عتريس وهو لص عريق – من وكره في المساء سعيا ، لاقتناص ضحاياه ... لم ترهبه الانفجارات ، ولم يرتعد كيانه لتلك الاجساد البشرية المنسحقة تحت ثقل وحشه الشره البغيض ، وغبار آثامه السوداء ... ولو كان قد تسرب ذلك المتوقع خارجا منه لما كان قد حدث ما حدث في النهاية التي لم يكن يتوقعها عتريس ابدا..

وعندما اعتادت عيناه الظلام راح يتفرس في الوجوه الشاحبة ، وهو ينفث دخان ما تبقى من سيجارته ، ويخاطب نفسه بقوله ماذا لو عرف من يحيطون به ان اخطر مجرم يندس بينهم ...؟ هل سيولون الادبار ...؟ وهل سيكون فزعهم منه اكثر من فزعهم من دوي المدافع ، وانفجار الصواريخ ...؟ ام انهم سيرثون لحاله ، لانه يحتمي معهم ، كأي واحد منهم ..؟

وصاحت احدى السيدات في ارتياع :

– لم اجد الوقت الكافي لاغلاق الشقة ... ما العمل ..؟ اني اشعر ، وكأن الظلام يخنقني ..

وتفرست في وجه اللص الواقف قبالتها ... على ان الاخير خاطب نفسه قائلا :

– حان الوقت للخروج ...

وانسل الى الطريق حيث تنسج خيوط العنكبوت ...

لم تكن ثمة عوائق بينه وبين اقتحامه للدور ... اذ تنهار الجدران ، وتتحطم الابواب والنوافذ بفعل القنابل والصواريخ المدمرة .. بينما يتخلف كل شيء عاريا حتى من الحياة ... وما عليه الآن الا ان يسعى متلفعا بوشاح الظلام الاملس الذي زاد من رهبته وطيس المعركة ... فأخذ يدفع اصابعه الجامدة في احشاء الدور ، ويتلمس ثمين المقتنيات ، واغلاها ، غير عابىء بالاجساد الخافقة التي يتلاشى منها دفء الحياة ، بل زاد ذلك منه الشعور بالقوة ، والجبروت ...

عتريس

محمد حسين عبد المجيد

ولشد ما كان سخطه عندما قطع شوطا طويلا ، ولم يعثر بعد ذلك الا على خاتم خطوبة في يد بضة ذهبت منها الحياة ... فانتزعه وهو يقول في ضجر ... :

– عليك اللعنة ... أنت وخطيبك ... كادت تودي بي الشظية التي أطاحت برأس الكلب ، وانا ادخل هنا ...

وخرج يواصل بحثه ...

قصة

وكان القصف قد توقف تماما ، حينما عثر على بيت في طرف المدينة ... صعد الدرج حيث الطابق الثاني ، ثم تسلق الجدران الى الطابق الثالث ... فقد كان الدرج المؤدي اليه منهارا مع النصف من الطابق ذاته ، بينما بدت له الحجرات عارية ، وارضيتها قد هبطت ، وتصدعت ... وفيما هو يدلف الى حجرة داخلية تعثرت قدمه في دمية صغيرة ... فالتقطها ، وراح يتفحصها على ضوء الفجر الوليد ، ثم طوح بها ... وتقدم خطوات داخل الظلام .. وبينما هو ينقل رجله اذ بها تغوص في لحم لا يزال دافئا ... فانتزع نفسه انتزاعا ... فقد مسه الزعر ، وارتعد لاول مرة ... ولما انحنى ليستطلع ما غاصت فيه قدمه عثرت يده على جثة لامرأة شابة ، نصفها مطمور ، وامعاؤها خارج بطنها ...

شعر عتريس بالرهبة ، واهتز من اعماقه ... ولكن ممن ..؟ لا يدري .. ودلف الى حجرة اخرى ... وكانت هي الوحيدة التي لم يمسسها الدمار ، ولم تمتد اليها يد الخراب .. فعمد من فوره الى الدولاب .. غير انه روع حالما تناهى الى أذنيه صوت خشخشة ... ولم يكن في حسبانه أنه من الممكن ان يحدث تصدع في الجدران ، وينهار ما بقي من الطابق ... ودهمه رعب مفاجيء عندما رأى عينين تحدقان فيه من ركن الحجرة المظلمة ... اراد ان يتقهقر .. ولكنه لم يشأ.. اذ ما كان يحدق فيه تحرك ببطء ، ثم وثب وانكمش على الفراش ، حيث ينسكب ضوء الافق الشاحب ... وهنالك التقت عيناه بعيني القطة الصغيرة التي أتت بمواء مزعور فوق الفراش الخالي ، الذي كان بجانبه مهد صغير ، يرقد فيه طفل رضيع .. وكان بجانب المهد منضدة صغيرة عليها زجاجة لبن بالكراوية ، لا يزال دافئا ...

وكان الطفل البريء يرقد رقاد من هده البكاء الطويل ، والدموع لا تزل تخضل خديه الصغيرين ... فشعر عتريس بانقباض في صدره ، وتقلص في شرايين جسمه ... والفى نفسه منحنيا على الطفل ، يتأمل وجهه الملائكي الصبوح ... واذا بالاخير يفتح عينيه الصافيتين وشفتاه ترتعشان تأهبا للبكاء .. فانتفض عتريس من قمته الى اخمصه ... وهزه الموقف من اعماقه ، فطفرت الدموع من عينيه ... لا يدري كيف بكى ، وهو الذي لم يذرف الدمع في حياته قط . !؟ ولا يدري – ايضا – كيف ضم الطفل الى صدره ، وراح يضغطه بحنان لم يدر كيف تسلل الى اعمق اعماقه .!؟ بل لعل ذلك انبثق من ذلك الذي يسكن اغواره ... فقد نفض الغبار وتمرد منطلقا من حيث كان متقوقعا ...!

وظل عتريس يهدهد الطفل الى ان افرخ روعه ، وسكن في طمأنينة ... ففتح عينيه وراح يديرهما في وجه يطل عليه ... وجه عتريس ، لا وجه اللص الرهيب ... ثم تململ بين ذراعيه واحتقن وجهه تأهبا للبكاء ... بيد انه ما لبث ان افتر ثغره عن بسمة يكمن فيها الطهر ، والبراءة والوداعة ... مما جعل عتريس يجهش بالبكاء ، ويهتف قائلا :

– ها انت ذا تضحك ... بينما انا ابكي ... يا للعجب ... !! اي وحش رهيب كنته انا ..!؟ لقد اطمأن الطفل الي .. أنا الذي لم يكن يطمئن الى قلب انسان يعرفني ..!

واستوقفه الطفل ببكائه المفاجيء ... روع النفس منه ... فراح يهدهده ...

– لا .. لا .. هوو .. هوو .. انت – لا ريب – جوعان ..!

وبحث عن الدمية التي كان قد تعثر فيها ، ثم أعطاها له ...

وجلس على حافة الفراش البارد يعالج حلمة زجاجة اللبن الدافيء ، والتي تناولها الطفل في لهفة الجائع ... وجعل يمتص منها اللبن في هدوء ، وهو يرمق عتريس الذي كان ذاهلا ، يسترجع ماضيه البغيض ... مع انه كانت تلوح عليه سيماء من يولي الادبار من شيء مخيف يطارده ، ذلك الى ان انتزعه من استغراقه – فجأة – صوت تصدع في الجدران ، اعقبه انهيار ... مما افزع الطفل ، وجعله يكف عن امتصاص اللبن .. وقفزت القطة مذعورة لتندس بين قدمي عتريس الذي اندفع مبتعدا بلا شعور ... وكان ذلك في اللحظة التي اخذ ينهار فيها نصف الحجرة المشتملة على الفراش والمهد الصغير ... وبدا عتريس واقفا على رقعة صغيرة من الارضية ، لا تزيد في الطول عن المتر ... وقد اخذت شكل مثلث ... فعمل بسرعة خوفا من ان تسقط به – تلك – القطعة الباقية تحت ثقله ...!

وراح يهبط الجدران ... منزلقا تارة ، ومنحدرا أخرى ... ومع انه بارع في التسلق والانحدار من اصعب الاماكن واشقها ، الا انه كان على حذر شديد خوفا على حياته التي يود الابقاء عليها من اجل حياة الطفل ...

وما ان بلغ الطريق حتى انطلق مبتعدا عن البيت الذي بدأ في الانهيار ... وبعد ان اصبح على قيد خطوات ، توقف حينما سمع مواء القطة التى كانت تعدو من ورائه ، ثم التقطها ... ووضعها حيث انكمشت بجانب الدمية التي تخلت عنها يد الطفل وارتخت بعد ان استغرق في النوم ، وهو راقد – في طمأنينة – بين ذراعي عتريس الحانيتين .. !

القاهرة — محمد حسين عبد المجيد

اغنية ولاء للقنيطرة

يهيم قلبي على ثراها ... ولا يرى من هوى سواها

معانقا فجرها القديما ... يشع نورا على مداها

ولاثما وجهها النبيلا ... يطل سحرا على سماها

فيذكر الغزو اذ دهاها ... وجاس كالوحش في حماها

وكيف ران الاسى عليها ... يا حرقة الروح من أساها

فدى لها كل ما تراءى ... للغيم والزهر في رباها

تلالها ميعة الاماني ... وطيب العيش من جناها

يهيم قلبي على ثراها ... فهل تعاد لها رؤاها

فترتدي حلة الضياء ... ويشرق النور في دجاها

دمشق — رضوان عقل

لحظات مع الشعر والشعراء

بقلم سالم علوان الجلبي

* * *

كل رأي خاضع للمناقشة ، فالصواب في الحقيقة ابن الخطأ ، والانسان معرض لكليهما فهو قد يخطىء ليصيب . درس يسلم الى درس ، وبكليهما يستقيم امر هذه الدنيا فبضدها تتميز الاشياء .

اما ان هذا كبير او عظيم فقوله اذن القول الفصل ، ورأيه الصواب عينه ، فهذا عندي هو الخطأ عينه . فانا اذ اجل كبراءنا وعظماءنا ونوابغ المتقدمين منا ، اراهم كغيرهم من الناس غير معصومين من الخطأ طبعا ، وبالتالي لا اتهيب مناقشة ما يرى رائيهم كائنا من كان بروح بناءة متجردة ، هادفة لخير .

ومن المنطلق هذا تعن لي احيانا بعض الخواطر حين اقرأ لهم ، او حين يرد على البال من اقوالهم شيء لا يستدعي الوقوف عنده والتأمل فيه . فاناقشه عندئذ نقاش متأثر بالنص وحده ... من ذلك مثلا قول .

الامام الشافعي

الشافعي الذي انصرف بكليته الى الفقه وعلوم الشريعة فتبحر بها الى حد الاجتهاد والامامة ، الحد الذي صار فيه رأيه مذهبا من مذاهب الاسلام المتبعة نسب اليه . وانصرافه الكلي الى الدين ، وانعطافه الى حب آل البيت الذين يقول فيهم :

يا اهل بيت رسول الله حبكم   فرض من الله في القرآن انزله
كفاكم من عظيم الفضل انكم   من لم يصل عليكم لا صلاة له

كل هذا لم يكن ليصرفه عن قول الشعر متى عن له ... ومن ذلك قوله من قصيدة معروفة :

فان تدن مني تدن منك مودتي   وان تنا عني تلقني عنك نائيا
كلانا غني عن اخيه حياته   ونحن اذا متنا اشد تغانيا

في هذين البيتين حقيقتان . اولاهما ما زالت قائمة وستبقى قائمة ما بقي الانسان . واخراهما لم تعد قائمة ، او هي لم تكن قائمة في يوم من الايام . فالاولى تكمن في الحقيقة الثابتة في قولهم : القلوب سواق . وهذا حق فالقلوب ما توافق منها ائتلف وما تنافر منها اختلف ، وكأن السواقي ممتدة بين القلوب ، فان استلطفت شخصا حاولت التقرب اليه ، وان حاولت التقرب اليه تحببت اليه ، وان تحببت اليه استجلبت ميله اليك ، فان مال اليك تقرب هو الآخر منك وتحبب اليك ، فتحاببتما وبقيت المودة بينكما قائمة ما بقيت محاولة التقارب متبادلة .

اما الاخرى ، فعدم قيامها يكمن في كونكما معا مجبرين على التعايش في المحيط الذي وجدتما فيه ، وقد يكون وجودكما فيه دون ما اختيار ، فربما كان باكراه الحاجة والضرورة . وهذا يعني قول علماء الاجتماع : الانسان اجتماعي بالطبع . فما دمت مع الآخر فانت بالحتمية نفسها التي تدفعه الى الحاجة اليك ، محتاج اليه . وحاجتاكما متبادلتان بالضرورة الاجتماعية لوجوب التعايش . فمع تطور الحياة وتقدم الانسان تطرد حاجة الفرد الى الفرد ، ولا يمكن بأي حال من الاحوال استغناء « الأنا » عن « الانت » فالمتطلبات كثيرة وهي آخذة ، على الدوام ، بالازدياد وبالكثرة . وتلك حقيقة يثبتها واقع الوجود . وكونك موجودا فالآخر موجود ، وكونك محتاجا اليه ، فهو بالضرورة نفسها محتاج اليك . والحاجة متبادلة ما دامت المنفعة متبادلة . فأين استغناؤك عنه واستغناؤه عنك ؟ اما في الآخرة ، فما يدرينا انكما اشد تفانيا حين تكون القبور ، كما يقول « هيجو » لا تفتح قط من الداخل !!

وثمة بيتان آخران للشافعي يقول فيهما :

تموت الاسد في الغابات جوعا   ولحم الضان تاكله الكلاب
وعبد قد ينام على حرير   وذو نسب مفارشه التراب

ولو انه اكتفى بالبيت الاول ، على ما فيه ، لكان قد وفى بمرامه وزيادة . ولكنه جاء بالبيت الثاني ليذكر العبد والحرير ، وذا النسب والتراب . وفي هذا ما فيه من تمييز عنصري طبقي ظاهر ، اذ لا مفاضلة في الدين الا بالتقوى وبالعمل الصالح . فانتم مجزيون باعمالكم ، ان خيرا فخير وان شرا فشر . اما في عمل الدنيا فما الغريب في نوم العبد على الحرير ما دام قد سعى وجد فوجد ، شأنه شأن الآخرين . أيكون المانع من ان يتنعم العبد بما يحصل عليه بعرق الجبين ، لونه او مهنته ؟! تلك والله مظلمة .

ثم ما الغريب ايضا في ان يفترش التراب ذو النسب ما دام قد قصرت به همته عن اللحاق بركب المترفين ؟ أيكون النسب اذن هو الرافع والخافض ، ولا يكون للعمل والسعي تأثير في الامر ؟! ولو طبقت هذه النظرة لنام رغدا عندئذ الحسيب النسيب دون ما حظ من كفاءة ولا نصيب من جد واجتهاد . وما هكذا الواقع على الدوام . فكم من ذوي الانساب والاحساب من قصرت بهم هممهم فداسهم الركب وفاتتهم القطر ، فاذا هم خاملون لا حظ لهم من نباهة ذكر ، او علو منزلة ، او حتى ضفوة عيش . والادلة اكثر من ان يحدها حصر ... واسعوا في مناكبها وكلوا من رزقه ... عبيدا كنتم ، ام من ذوي الاحساب والانساب . (١)

العباس بن الاحنف

يؤكد « فرويد » ان الجنس هو المحرك الاقوى لهذا المخلوق الذي يسمونه الانسان . وقد قال العرب من

قبل : ما اختلى اثنان الا وكان الشيطان ثالثهما . ومع هذا فقد جاء منهم من يقول : ان ثمة خلوة او خلوات يتحكم الشوق فيها الى حد الهيام المبرح ثم لا يكون الجنس فيها شيئا مذكورا . وينسحب هذا لا على فرد او فردين بل على القبيلة بكاملها وربما على اكثر من قبيلة !! وهم يصفون هذا النوع من الحب بصفة خاصة منسوبة الى تلك القبيلة هي « الحب العذري » !

أرأيت الى الخيال كيف يجمع حتى يصل الى درجة يجرد فيها الانسان من اقوى غرائزه على الاطلاق ! هو خيال ، او هو افتعال اريد به مآرب اخرى .

ومن اولئك الذين نسجت حولهم الاساطير في هذا النوع من الحب : جميل بثينة ، وقيس ليلى ، كثير عزة، قيس لبنى ، وعروة عفراء وغيرهم ... ثم يأتي العباس بن الاحنف ليطرح في السوق نوعا من هذه البضاعة فيها عفة الضمير وطهارة العاطفة في الحب ، مع اعتراف بفسق النظر ! وفي هذا يقول :

أتاذنون لصب في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به عف الضمير ، ولكن فاسق النظر

انه حب مغرم بحبهم الى الحد الذي لا يرى ما يشتهيه سمعه وما يقر عينه الا عند هذا الحبيب . وهو من هنا يلهف الى زيارته . ولشدة ما يلح الشوق به الى هذه الزيارة يستأذن للسماح له بها ، ولكيما يستدرج المحبوب ليسمح له بهذه الزيارة يأتيه من الباب الآمن ، ان صح هذا التعبير ، بتطمينه بانه لا يضمر السوء قط مهما طال به الجلوس في حضرته ، ذلك لانه عف الضمير ، وان لم يكن عف النظر ، لاقراره مقدما بانه فاسقه .

وحين يقولون : من مأمنه يأتي الخطر ، فهم صادقون ، ولا ادل على ذلك من هذا القول ، فمن أين جاء فسق النظر ان لم يكن من فسق الضمير ؟ فالعين هي نافذة القلب ، ولو لم يكن يحس بان طول الجلوس مع هذا الحبيب المشتهي ، يحرك هاجس السوء في النفس ، وهي الامارة به ، لما اعتذر بهذا العذر الكسيح منذ البداءة ، ليكون الطعم الذي يجلب الصيد الى الصنارة. وهو هنا يكون قد ناقض نفسه ان لم يقر بذلك ، فهو اذ يقول : فعندكم شهوات السمع والبصر يقر ضمنا بانه فاسق الضمير ، فما تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور . وعكس العمى صحيح كذلك . الا ترى الى السيد المسيح كيف يقول في وصيته : « وقد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن . واما انا فاقول لكم : ان كل من ينظر الى امراة ليشتهيها فقد زنى في قلبه » (٢) .

وأهون منه ، وان كان كما يلوح مأخوذا عنه ، قول الحبوبي : عفة النفس وفسق الالسن اذ يقول :

ان لي من شرفي بردا ضفا هو من دون الهوى مرتهنى
غير اني رمت نهج الظرفا عفة النفس وفسق الالسن

وكأنه اراد ان يقول هو الآخر : انه لولا شرفه الذي حال بينه وبين الهوى وحوله الى انتهاج سبيل الظرفاء في عفة النفس وفسق الالسن ، اجل انه لولا هذا الشرف لكان له مع عفة النفس شأن آخر . فأخوك بتعبير آخر ، مكره لا بطل . اذ يصح عليه قول القائل : فان تجد ذا عفة فلعلة لا « يفسق » . وحتى لسان المرء ، من خدم الفؤاد ، كما يقول ابو تمام .

بقي ان نتذكر ان صاحبنا العفيف هذا (العباس بن الاحنف) هو الذي يقول :

لم يخلق الرحمن احسن منظرا من عاشقين على فراش واحد

فاذا كان عف الضمير حقا ، فلم لم يقل : ... على حافة غدير ، على شاطئ نهر ، في روضة غناء ، تحت شجرة فينانة الخ ... بل سار قدما الى الفراش الواحد! فيا لها من عفة !

احمد شوقي

امير القوافي قد اتيت مبايعا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

بمثل هذا الاطلاق بويع شوقي بامارة الشعر حين طغت السياسة حتى على هذا الفن الرقيق الجميل فاقامت له امارة ورسمت لها اميرا . اما المبايعون من الشعراء فمنهم من كان يضمر الخلع ويعلن المبايعة ، ومنهم من بايع راغبا متحمسا لها ، ومنهم من لم يكن من اولئك ولا من هؤلاء ، ولكنه تابع ... لعل وعسى !!

من ذلك ان الزهاوي لم يكن يرى بشوقي من قبل ذلك الشاعر المفلق المجيد ، فقد كان يقول :

ولقد خفيت على ظهورك مدة عن اعيني ومن الظهور خفاء

ويقول :

ما كنت اعرف قدر شعرك قبلما وفرت في تجديده التحسينا

وهو بهذا على نقيض ما كان يراه في شوقي كل من طه حسين ولطفي السيد ، فهما معا قد ساء ظنهما بشعره اخيرا بعد حسن ظن . فهذا لطفي السيد يقول : « كنت شديد الاعجاب بشوقي اقرؤه في لذة تكاد تشبه الفتنة واثني عليه كلما لقيته ، فما زال شوقي يكسل ويقصر في تعهد شعره حتى ساء ظني بشعره الاخير » . وطه حسين يقول : « كان شوقي مجددا ملتوي التجديد، واذا بتجديد شوقي يستحيل شيئا فشيئا الى تقليد حتى اذا كانت اعوامه الاخيرة ، كانت قصائده كلها تقليدا ظاهرا » .

ومع هذا كله يجيء الزهاوي ليقول اخيرا :

خرت لعزة شعرك الشعراء فكانهم ارض وانت سماء !!

هذا عن الشاعر ... اما عن الشعر الذي نحن بصدده ، فقد قال المرحوم شوقي :

ان الجواهر في التراب جواهر والاسد في قفص الحديد اسود

وهذا قول فيه وجهان ، كما يقول النحاة والفقهاء ايضا ، فانا اتفق مع شوقي فيه بشيء واختلف معه فيه بشيء .

صحيح ان جوهر الاشياء قد لا يتبدل بتبدل اماكنها

ـ وقد لا تكون الصحة هنا قاطعة مئة بالمئة ، فالمختبر اليوم قد يغير الجوهر بتغيير مكانه ، وحتى ترويض الاسود في السيرك قد اذلها وغير بعض طباعها ـ ولكن صحيح كذلك ان منظر الجواهر على جيد الحسناء غيره وهي في التراب :

ازين بالعقود وان نحري　　لازين للعقود من العقود

على حد قول شاعرتنا القديمة المشهورة بجمالها في بغداد يومذاك « سلمى بنت القراطيسي » .

اما سجن الاسد في قفص الحديد فتلك هي المسألة، كما يقال ... فوجود الاسد بقفص الحديد بحد ذاته ، انتفاض لضراوته وكسر لجماحه . ثم ما مدى نظرة الاسود الطليقة الى هذا الاسد « المقفوص » بالحديد ، وما معناها ؟ كما ان ذلك الاسد السجين ، اذا ما بقي فيه شيء من طبيعة الاسود ، فانه لا بد وان يثور وعندئذ قد يحطم السجن ويحطم السجان . فان لم يفعل وكان كأسود السيرك ، فهذا الذي هان فسهل الهوان عليه ، ولم يعد في حساب العرين .

صالح بن عبد القدوس

هو شاعر من الموالي من زمرة بشار بن برد وابان بن عبد الحميد وسلم الخاسر ومسلم بن الوليد وعبد السلام بن رغبان وغيرهم . ولا ادري أكونه فارسي الاصل نشأ في حواضر الدولة العربية الاسلامية جعله يتبع في صلاته الاجتماعية فلسفة المراوغة والنفاق ، ام هو الطبع الشخصي والفطرة ، ام هو ارهاص لثورة اريد لها يومذاك ان تقتلع كل ما كان متعارفا عليه من القيم الخلقية والاجتماعية ، يثيرها هذا النفر ومن يدفعهم من العاملين على تقويض وتحطيم مكانة تلك القيم العربية ورسوخها ، ثم لاشاعة التحلل الخلقي في ذلك المجتمع الذي ما زال يقدر لتلك القيم الروحية قدرها الجليل ؟!

وايا كان الامر فما نحن الا بسبيل قول صالح هذا :

وابدأ عدوك بالتحية ولتكن　　منه زمانك خائفا تترقب
واحذره ان لاقيته متبسما　　فهو العدو وحقه يتجنب

نصيحة ما اغلاها ودرس في النفاق والمراوغة قيم قد يفيد منه مكيافيللي نفسه . ابدأ عدوك ، على عداوته، بالتحية . ومع هذا كن منه خائفا وعلى حذر زمانك كله ، لئلا يوقع بك . وعلى الاخص حين تلقاه وهو يبتسم ، وكن على ثقة من ان طي هذه الابتسامة سلاحا قاتلا مصوبا اليك على الدوام يتحين اللحظة المؤاتية ليصيب منك مقتلا !

اذا رأيت نيوب الليث بارزة　　فلا تظنن ان الليث يبتسم

بل هو على العكس يكشر عن انيابه بانتظار اللحظة المناسبة للانقضاض عليك وتركك جثة هامدة .

وقد فاته ان العدو ، هو الآخر سيكون ، والحال هذه ، حذرا خائفا يترقب منك الاذى زمانه كله ، فهذا السلاح ذو حدين يصيب من كلا حديه ، ما دام يريد لهذه النصيحة ان يعمل بها على نطاق واسع . مراوغة دائمة ومداراة مبطنة ، تلك هي حياة الانسان التي ارادها له هذا المصلح الاجتماعي النبيل ! تماما كما قيل : ... فحاذر الناس واصحبهم على دخل !

وهذا يعني ، كن شاكي السلاح ، والبس جلد قنفذ لتون على تمام الاستعداد عند الحاجة التي لا تعرف اوانها ، والتي قد تفجأك في اي حين . فاذا كان هذا شأن الناس دائما وابدا مدى اعمارهم ، فكيف ستكون حياتهم هذه ان لم تكن هي الجحيم عينه ؟ وبالاخص حين يعمل المرء على نصيحة ذلك الذي لا يريدك ان تحذر عدوك وحده ، بل ان تحذر الصديق كذلك وتكثر ، اذ تقول :

احذر عدوك مرة　　واحذر صديقك الف مره
فلربما انقلب الصديـ　　ـق فصار اعرف بالمضره

وعندئذ يمسخ الناس ثعالب مراوغة لا هم لها الا ان ينهش بعضها بعضا .

ولله در المعري اذ يقول :

هذي طباع الناس معروضة　　فخالطوا العالم او فارقوا

مسالم ما احكمه ... خالطوا او فارقوا . هكذا وبكل بساطة ، ودون ما تحية مبطنة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب !

الطغرائي

هو الاستاذ الجليل ابو الحسين علي بن محمد بن عبد الصمد الدؤلي الاصفهاني . كان كاتب الطغراء للسلطان السلجوقي ملك شاه بن الب ارسلان . ولم يكن كاتبا منشئا فحسب ، بل كان كذلك شاعرا مجيدا اي شاعر . وهو الى هذا وذاك ، عالم بالكيمياء له مؤلفات فيها تعد مجموعة من الكتب والرسائل .

يقول عنه العماد الكاتب في كتابه « خريدة القصر وجريدة العصر » .. اما نثره فنثرة الدراري ، ونثير الدرر ، ومنثور الزهر . له معجز البلاغة المعجب ، ومعرب الفصاحة المغرب . ويقول عن شعره : شعره عبر الشعرى العبور علو عبارة ، وسمو استعارة ، وسموق راية ، وشروق رآية ، وتناسق مقصد وغاية ، وتناسب بداية ونهاية ... الى ان يقول : هو لا يعد في الشعراء فهو اجل .

ويقول عن شعره ابو الحسن علي بن سعيد العتبي في كتابه « خزانة التاريخ » : .. وديوان شعره مشهور ، وهو من الفحول ، ولو لم يكن له الا « لامية العجم » لكفته (٣) .

هذا الكاتب الشاعر العالم الجليل ، يصدمك عجبا حين تقرأ له هذين البيتين :

اذا لم تكن ملكا مطاعا　　فكن عبدا لخالقه مطيعا
اذا لم تملك الدنيا جميعا　　كما تهواه ، فاتركها جميعا

اللذين يقول فيهما صاحب خزانة التاريخ : انهما

ربيع وشتاء

في شهر حزيران من العام الماضي وفي اسبوع واحد ، رحل اخي منذر والربيع مزهر على كتفيه ، ورحل جدي الحاج سليم العلبي ، رحلا معا وكأنهما على موعد ، وقصيدتي هذه تحية لذكراهما .

كـل الذيـن عرفتهم كـل الذيـ ... ن حببتهم ، جثموا بأعماقي قدر
فأخي الذي ولـى ودفء ربيعه ... باق بوجه الثلج بـل رغم الحجر
باق على مـر الزمـان ، زمانـه ... أبدا شباب دافىء ونـدى زهـر
هو ان تساقطفالسقوط لديه اسـ ... ـقاط لآفات المـرارة والضجر

كل الفصول عركتها ، كـل الانا ... شيد استكانت في حنايـا أضلعي
ان في الربيع او الخريف أو الشتا ... ء فداخلي أبـدا مطارح أدمعـي
جـدي حبيبي صيفـه وشتاؤه ... أبـدا بكل جمالـه أبـدا معـي
فكلاهما رحلا معـا ، وعـد رحيـ ... لهما وحـق رغـم كـل توجعـي

كـل الذيـن عرفتهم كـل الذيـ ... ن حببتهم ، جثموا بأعماقي قدر
كـل الفصول عركتها كـل الانـا ... شيد استوت ابدا بأعماقي عبـر

دمشق

سلافة العامري

عنوان مذهبه وطبقته ، وهو يعني الطغرائي .

انني ، واقولها مخلصا ، اعجب لهذا القول يصدر عن هذا الاستاذ الجليل ، كيف غاب عنه ان : لا الملك المطاع ، ولا من هو اكبر من الملك المطاع ، من يكبر عن ان يكون عبدا لخالقه مطيعا . فهل تـراه كان اراد ان يقول : ان من كان ملكا مطاعا فاخلق به ألا يطيع الله !! او انـه اراد ان يقول : انك لا تكون مطيعا لخالقك الا حين لا تكون ملكا مطاعا ؟!. وفي هذين القولين كليهما شطط ما بعده شطط كيف يمكن ان يغيب عن هذا الشاعر الذي لا يعد في الشعراء لانه اجل ! أم ان الامر كله لا يتعدى الصنعة ، طباقا وجناسا ، متمثلـة فـي الملك والعبـد ، والمطاع والمطيع ؟! وما اكثر ما جنت الصنعة على الشعر .

اما البيت الثاني ، فهو ليس اقل مدعاة للعجب من البيت الاول الا من ناحية اتصاله بالخالق ، وكل متصل به كان من اجل ذلك في المقدمة . والا فكيف يمكن ان يترك الدنيا جميعا من لم يملكها جميعا ، فيحرم عندئذ من كل شيء ؟! واللبيب الحازم من يفيد مما يملكه ، وان قـل ، اقصى ما يستطيع . وليس من اصالة الـرأي ورجاحـة العقل ، ولا من كمال الادراك ، بل وليس من الواقـع فـي شيء ، ترك ما نيل حنقا على ما لم ينل . فاقطع الرحلة على هذا الزورق القلق بما تيسر من المجاديف ، فقديمـا قيل : ما لا يدرك كله لا يترك جله .

أم تراه ، وهو الشاعر المتبحر في الكيمياء ، يعتبـر الدنيا ملكا ، فان لم تكنه فلا كانت ؟! و : هب الدنيا تصير اليك عفوا ... اليس مصير ذاك الى زوال ؟! ومـا دام الامر كذلك ، فالتمتع من شميم عرار نجد، خير واجدى، ما دام ليس ثمة من عرار بعد العشية ! وما دامت الحياة نفسها اختراعا فظيعا ، كما يقول هيجو ، وهي لا تـدوم ولا جدوى منها . فعش يا اخي ، عش كل ما استطعت ، فان من الخطأ ان لا تفعل ذلك ، كما يقول « جيمس » .

والطغرائي نفسه ، كان طغرائـي الملـك السلجوقي ملكشاه ، وبالطبع فان السلطان املك للدنيا من طغرائيه. والطغرائي ، كما هو معلوم ، صانع او كاتب الطغـراء ـ وهي كلمة من الدخيل ، تعني علامة ترسم علـى المناشير والمسكوكات السلطانية ، او ما يكتب في اعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ، متضمنة نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه ـ . فلماذا اذن لم يترك الحسين «الطغرائي» الدنيا جميعا ، لانه لـم يملكها جميعا ؟! أم انـه الشعر ، وانه الشاعر ، والشعراء يقولون ما لا يفعلون ؟!

واخيرا اتراني ، انا الآخر ، مصيبا لو ذكرت البيتين على الوجه الآتي ، أم ترانا جميعا نرقص في ظلمه !

وحتى ان تكن ملكـا مطاعا ... فكـن عبـدا لخالقـه مطيعـا
وان لم تملك الدنيا جميعا ... فعش فرحـا كمالكها جميعـا
فطين أنت ، ان ملكا رفيعا ... وطين ، ان تكن عبدا وضيعـا

البصرة ـ العراق

سالم علوان الجلبي

---

١ ـ كان يحسن بالناقد ان يشير الـى ان اكثر الشعر المنسوب للامام الشافعي مشكوك في صحته ، وهو نفسه اعلن هذا بقوله :

لولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليـوم اشعر مـن لبيد

٢ ـ انجيل متى : ٥ ـ ٢٧ ـ ٢٨ « الاديب »

٣ ـ الدكتور رزوق فرج رزوق : مجلة الاقلام البغدادية نيسان ١٩٦٨ .

تـوحـــــد

•

أنا والتينة الجرداء بين النخل والرمان
أنا و ((الهيلة)) الفرعاء فوق الشاطىء النديان
وبين الموت والميلاد
من شمس ومن قمر
ومن برق ومن رعد
ومن صحو ومن مطر
لدات نحن للسمك الذي يغفو على الاجراف
لدات نحـن للـدر
لدات نحن للغرب الذي يحنو على شطآنه الخضر
لدات نحن للصفصاف
فلا قطعتم اوصالها ...... اربـا
فقلتم ها هنا ضفة ... وذا حقل
هناك ، هناك ... سدر بات مكتئبا
لاني لم أربت خصلة خضراء
فوق الماء سرحها
وانســام ترجعهـا
وعصفور يعابثهـا
فسموا الموج مـا شئتم
وسموا الرمل ما شئتم
وسموا الشمس والقمرا
وسموا الظـل والشجرا
سراب كل ما بيني وبينك من مسافات ومن زمن
انــا الاحفـاد
لا موت ولا ميلاد
يفصلنــي
فليس هناك الا قريتي وأنــا
أنــا في قريتي
والقرية العذراء في أنــا

بغـداد — حسان يوسف المطلبي



حارث طـه الراوي

مـن ذكـرياتي الادبيـة

بقلم حارث طه الراوي

* * *

اللقاء الاول والاخير مع أحمد حسن الزيات

لم أكد أسأل في القاهرة عن الاديبة الدكتورة نعمات احمد فؤاد حتى دعتني في مساء اليوم الثاني عشر من ايار ١٩٦٣ الى وليمة شاي في شقتها الانيقة بعمارة اسماعيل ياسين في الزمالك . واخبرتني ، بواسطة الهاتف ، ان الاستاذ احمد حسن الزيات سيحضر الدعوة . فذهبت متلهفا لرؤية هذه الاديبة التي نشرت كتبا عديدة عن اعلام ادبائنا المعاصرين والاجتماع بالاستاذ الزيات صاحب « مدرسة » الرسالة ولا اقول « مجلة » الرسالة لان الرسالة مدرسة لا مجلة فحسب ...

ذهبت في الموعد المحدد ، فاستقبلني الاديب الباسم زوج الاديبة الباسمة والسيد محمد المعلم صاحب دار القلم ، ثم جاءت نعمات لتحيتي ، وكانت تنطلق كالسهم من المطبخ الى غرفة الاستقبال ومن غرفة الاستقبال الى المطبخ من غير كلل او ملل ، لتبرهن ، بما لا يدع مجالا للشك ، على انها ليست ربة قلم مبدع وحسب وانما ربة بيت مثالية ايضا ...

وجاء الناقد الشهير مصطفى عبد اللطيف السحرتي، وتصافحنا ، فتطلعت الى وجهه الاسمر الواجم وحاولت ان اهتدي من خلال سمات وجهه الى خفايا شخصيته ودخائل سريرته ، فلم أفلح !

لقد ظهر لي انه رجل طيب ولكنه ـ والحق يقال ـ غامض ، يقتصد في كلماته ويفكر اكثر مما يتكلم ، ولا اذكر له الا نكتة واحدة ، عندما قلت : الاسلوب هو الرجل . فقال : لا يا اخي . انني اخالفك واقول : الاسلوب هو المراة ...

واطل الاستاذ الزيات فنهضنا ، وبعد المصافحة والجلوس شرع الزيات يسألني :

ـ كم عمرك يا حارث ؟

ـ ٣٣ سنة .

ـ هل انت متزوج ولك اولاد ؟

ـ نعم . وولدي اسمه طه . وابنتي اسمها مي .

ـ مي اسم جميل ... مي اسم جميل ...

ثم أخذ يتصفح نسخة ديواني « تباريح » التي اهديتها الى نعمات وسألني بألفاظ هادئة :

ـ هل تنطبق قصائد ديوانك على عنوانه ؟ أحقا كنت في اتون التباريح ؟

ـ اجل يا استاذ .

فضحك صاحب دار القلم وقال للزيات :

ـ لماذا تقول للراوي هل كنت ! احسبته شيخا ودع الهوى والشباب ؟

فضحك الجميع ... وقلت للزيات :

ـ سأفاجئك ، يا استاذنا ، برسالة ارسلتها حضرتك الى المرحوم والدي عام ١٩٣٨ وبمسودة جوابها بخط المرحوم ، وما كدت اخرجها من جيبي واسلمها الى الزيات حتى تطلع اليها بعينيه الكليلتين وقال بصوته الهادىء :

ـ صحيح هذا خطي . واشكرك لانك احتفظت بها حتى الآن .

وقرأ منها بعض السطور ثم ناولها للسحرتي ، الذي قراها من الفها الى يائها ، مع جواب المرحوم الراوي .

ودار الحديث حول المرحوم مصطفى صادق الرافعي وعن غزله بصورة خاصة . وكانت الدكتورة نعمات تنتقد غزل الرافعي بما يشبه القسوة (١) ولا تكتم تقديرها لجوانب ادبه الاخرى فأيدها الزيات !

واذكر اني دافعت عن « اوراق الورد » وقلت ان كتاب الرافعي هذا لا يمكن ان يكون الا وليد تجربةغرامية عنيفة ، وانه كتاب لا يخلو من الابتكار في بابه الخ ...

فخالفني الزيات ، ولكنه لم يقنعني !...

وروى الزيات نكتة عن الرافعي عندما يهيج وقال :

ـ نشرت ، ذات مرة ، في مجلة « الرسالة » كلمة

---

١ ـ اهدتني في تلك الجلسة كتابها « ادب الرافعي » ولما قرأته وجدته ـ ويا للاسف ـ زاخرا بالتحامل على اديبنا العظيم المظلوم ..

لآنسة تنتقد فيها جانبا من ادب الرافعي ، فهاجمها الرافعي بعنف ، فكتبت اليه : رفقا بالقوارير ...

فأجابني الرافعي :

ـ ان هذه ليست قوارير وانما هي (....)

فضحكنا ... ثم سألت الزيات :

ـ هل ترى ، يا استاذنا ، ان هناك نقدا موضوعيا بحتا لا يتأثر بمؤثرات ذاتية شخصية من صداقة او عداوة الخ ؟..

ـ لا يا حارث ... لا يوجد مثل هذا النقد الموضوعي ... وقد كان النقاد وما زالوا يتأثرون بالعواطف ...

وبعد ذلك جاءت الدكتورة نعمات ببحث جديد كتبته مؤخرا بعنوان « المرأة والريح » وتلته علينا بصوتها الموسيقي الخطابي الساحر ، وكان البحث مرصعا بجواهر الآيات القرآنية الكريمة . وكانت تقارن ، في بحثها هذا ، بين صفات المرأة وصفات الريح ... فكان والحق يقال موضوعا ممتعا لا يخلو من الطرافة والابتكار ...

ثم دعتنا الى المائدة الحافلة بما لذ وطاب من اللحوم والحلوى التي اعدتها بيديها وتفننت في طهيها وصنعها أيما تفنن ...

اجلست بجوار الزيات ، واذا به يلتفت نحوي ويسألني والابتسامة تعربد على شفتيه :

ـ هل ابتليت يا حارث بمصيبة الشعر الحر ؟

فأجبته ضاحكا :

ـ لقد عانيت نظم الشعر الحر حتى عام ١٩٥٤ ، ثم اقلعت عنه منذ ذلك التاريخ ، ولكنني « اتفسح » في القصيدة احيانا والون في الاوزان والقوافي ، وارضي نزعتي الى التجديد من غير ان ازعج الخليل بن احمد الفراهيدي ...

ثم استشهدت بأبيات من تحيتي الشعرية لصديقي شاعر العراق حافظ جميل :

وهـذا يدجـل باسم الجديـد	ويسعى لتحطيم شعـر العـرب
وذاك يهـز عمـود الخليـل	فيلهـث مستسلما للنصـب
وقد شاع هـذا القريض المريض	ولا غرو ، فهـو شبيـه الجـرب

فضحك الجميع ، وضحك الزيات كثيرا ، واستحسن الابيات واثنى على شعري ...

وما كادت « حنان » ، كبرى كريمات نعمات ، تأتي لتحيتنا حتى قبلها الزيات وقبلتها انا قائلا لها : اهلا بالحنان ... ، فالتفت الزيات الى الحاضرين وقال :

ـ ان تعابير الراوي شعرية ...

وردد قولي : أهلا بالحنان ... أهلا بالحنان ...

وبعد احاديث ادبية ممتعة نهضنا للوداع ، واذا بالدكتورة نعمات تمسك بيدي وتتجه بي الى غرفة المكتبة ، فسرني ان اشاهد مكتبة انيقة عامرة بأمهات الكتب ...

وبعد الوداع انصرفت مع الاستاذ الزيات الذي اوصلني ـ رحمه الله ـ بسيارته الى فندق « بالمورال » بالزمالك ، حيث اقيم . بعد ان عاتبني ـ طيب الله ثراه ـ في الطريق عتابا قلبيا رقيقا بسبب عدم زيارتي له ... وابدى استغرابه من زيارتي للاخرين ، في القاهرة ، قبل ان ابدأ بزيارته ، وختم عتابه بقوله :

ـ من حقي ان تزوروني قبل الجميع .

وكان على حق . وودعته ، ولم ادر ان وداعي له هو الوداع الاخير . اذ لم تسعدني الايام بلقائه حتى لقي وجه ربه . رحمه الله .

اللقاء الاول والاخير مع الشاعر الحلبي الدكتور علي الناصر

عند زيارتي لحلب صيف ١٩٦٩ طلب مني الصديق الاستاذ عبد الله يوركي حلاق صاحب مجلة « الضاد » ان ازور بصحبته صديقه الشاعر الحلبي المعروف الدكتور علي الناصر بعيادته الكائنة في « باب الفرج » . فأبديت استعدادي التام لزيارة هذا الشاعر الذي لم اره من قبل ، ولم اقرأ له سوى ديوانه « اثنان في واحد » الذي اهداني نسخة منه ناشره السيد توفيق اليازجي ، فوقفت على شعر تصطدم فيه الاصالة المشرقة تارة بالسوريالية وطورا بالرمزية ، شعر يعبر بصدق وحرارة عن نفس مفرطة الحساسية ، شديدة التعقيد !!

واتجهنا الى عيادة الدكتور في « باب الفرج » . وبعد ان صعدنا سلما طويلا متعبا استقبلنا الدكتور الناصر ، وكان رجلا نحيف الجسم ، قصير القامة ، اسمر البشرة ، يتأجج مزاجه العصبي في عينيه الصغيرتين المتقدتين وراء نضارته ...

كانت الغرفة قديمة وكان كل شيء فيها قديما حتى صاحبها الدكتور علي الناصر الذي اعترف بأنه قد بلغ الخامسة والسبعين ...

وقد هاج وماج عندما ذكرنا « اليازجي » ، ناشر ديوانه ، فطلب منا بلهجة حازمة آمرة ان نكف عن ذكر هذا الرجل لانه يكرهه ولا يريد ان يسمع اسمه !...

ثم هاجم المرحوم بشارة الخوري « الاخطل الصغير » واستسخف قصيدته « الهوى والشباب » لا سيما قوله عن الكأس : « ثم حطمتها على شفتيا » واستسخف عبد الوهاب لانه لحن وانشد هذا (الهراء) ـ على حد تعبير الناصر ـ .

وامتدح المقام العراقي والاغاني العراقية الاصيلة وتمنى لو تتيح له الايام فرصة زيارة بغداد ليمتع نفسه بسماع الاغاني العراقية الاصيلة القديمة في مقاهي بغداد القديمة !...

ويستنتج الزائر من تدفق الدكتور في الحديث ومن اشارته العصبية ان ليس من السهل مقاطعته ومناقشته! وليس من السهل ـ والحالة هذه ـ مواصلة الاستماع الى حديث من هذا النوع !

ولهذا لم نطل المكوث ، وودعنا الدكتور ونحن نتطلع الى صورة كبيرة نادرة لامين الريحاني معلقة على الجدار كان الريحاني ـ رحمه الله ـ قد اهداها بخطه الى صديقه علي الناصر .

ولم يدر بخلدي ، وانا اودع الناصر ، ان وداعي له هو الوداع الاخير ، وان هـذه الغرفة الكئيبة ستشهد مصرعه بعد عام في حادث مؤسف . رحمه الله .

اللقاء الاول والاخير مع عبد المسيح حداد

في الثامن والعشرين من شهر آب ١٩٦٠ اقام الصديق الوفي البرت الريحاني وليمة عشاء كبيرة في منزله ومنزل شقيقه المرحوم امين الريحاني بالفريكة . وتلطف بدعوتي مع زوجتي وولدي طه، فلبينا الدعوة شاكرين مسرورين.

وصلنا الفريكة في بداية هجوم الظلام عليها . واستقبلنا الحبيب البرت هاشا باشا كعادته . ولم نكد ندخل المنزل حتى فوجئنا بالعتمة تغمر جنباته . ولما سألنا البرت عن السبب اجاب بأن القرية تعاني منذ دقائق عطلا في الكهرباء ..

توجهنا الى الشرفة المطلة على الوادي حيث يجلس الضيوف الذين كان بينهم صديقنا « الشاعر القروي » فصافحنا الجميع وجلست بالقرب من القروي الذي رحب بي وفرح برؤية ولدي طه وطبع على قمة راسه قبلتين حارتين .

وبعد دقائق جاء رجل قصير القامة ، يكاد ان يكون بدينا ، ووقف بالقرب مني ، فنهضت احتراما له كضيف لا اعرفه ، فمد الي يده وهو يعرف نفسه : عبد المسيح حداد . فعانقته وعانقني . ولما عرفته بنفسي عانقني مرة ثانية ... ثم تعانق مع الشاعر القروي عناقا طويلا ...

واشعلت الشموع ، فكان منظرا لا حد لجلاله وروعته ! ولك ان تتصور شموعا تتراقص اضواؤها الشاعرية في منزل فيلسوف ، فتعكس انوارها الخافتة على وجوه شعراء وادباء تكاد احاسيسهم المرهفة ان تشتعل وتشارك الشموع في تبديد العتمة . وتمنيت ان تبقى بهذا الجو الذي ينعش الخيال ، ولكن سرعان ما عادت القوة الكهربائية لتعصف بأحلام الشعراء !...

كان الشاعر القروي يحدثنا عن منهجه اليومي في قريته الصغيرة « البربارة » وكيف ان الرابعة والسبعين زادت حنينه الى البحر وجعلته يشارك شبان الضيعة لا في السباحة وحسب بل حتى في الغطس تحت الماء وكيف انه سبقهم جميعا بالغطس وتركهم يندبون شبابهم ويباركون شيخوخته الهازئة بأعباء السنين ...

ثم حدثنا عبد المسيح حداد عن زيارته لرفيقه القديم في « الرابطة القلمية » ميخائيل نعيمة في قريته النائية « بسكنتا » حيث اقام في منزله ثلاثة ايام معطرة بالذكريات ...

وعلى ذكر ميخائيل نعيمة فانه كان مدعوا الى وليمة البرت ، الا انه لم يحضر . ولانه لم يعتذر عن الحضور قبل الدعوة ولم يعتذر عن عدم الحضور بعدها فقد برر لنا ان نشرق في التأويلات ونغرب ونضع في طليعة الاسباب الجفوة التي بينه وبين الشاعر القروي ..

وعلى اي حال فقد كان رأي البرت ان يدعو الكثيرين من مشاهير رجال الفكر والادب الذين يختلفون في الراي لان اجتماعهم في جو اخوي يساهم في حل عقدهم النفسية ويقلل من (الحساسيات) الشديدة التي لا مبرر لها ...

ومهما تكن مبررات عدم حضور ميخائيل نعيمة ، فان تصرفه هذا لا ينطوي على التسامح والتواضع . وذلك بعكس تصرف صديقنا المفكر الكبير واصف البارودي ــ رحمه الله ــ الذي كان جالسا بالقرب مني ، وكان خلفه احد المحسوبين على الصحافة في حالة سكر شديد لا تليق بمن يحترم نفسه ويحترم الآخرين . وكان هذا الصحفي الثمل المنهار يقاطع « الشاعر القروي » الذي كان واقفا ينشد من شعره الوجداني والغزلي ، بصوت عال قائلا : اعد .. اعد !.. فيلبي القروي طلب هذا المخلوق الهازيء ، متجاهلا قصده السيء احتراما لنفسه وللداعي والمدعوين ...

وبعد العشاء سألت عبد المسيح حداد عن رأيه في كتاب زميله ميخائيل نعيمة عن زميلهما المرحوم جبران خليل جبران فأجاب :

ــ انه كتاب عظيم لمؤلف عظيم . وقد انصف نعيمة صديقه جبران في هذا الكتاب الخالد .

ــ هل تبرر لميخائيل نعيمة اعلانه اسرار جبران الشخصية وغمزه له بحجة انه كان يحب امجاد الدنيا واي كاتب لا يحب المجد الذي يخلعه الناس عليه بجدارة؟

ــ ان نعيمة صديقي وقد خبرت فيه حب امجاد الدنيا . ولا جناح عليه في ذلك لان من حق كل نابغ ان يحب المجد ويرعى الناس الذين يشقون له سبيل العظمة ...

فابتسم عبد المسيح حداد ــ رحمه الله ــ وقال :

ــ ان جبران من البشر . والبشر معرض للزلل . وقد درس ميخائيل سيرته من حيث انه بشر ، فلم يهول ولم ينافق وانما صور سيرة جبران كما هي . وعلى أية حال فقد قال في نهاية كتابه ما معناه ان جبران اديب عظيم قلما تجود به العصور !

ــ هل يرضى ميخائيل نعيمة ان نؤلف عنه كتابا صريحا يشابه كتابه عن جبران في الصراحة ؟

ــ يجب ان يرضى ... يجب ان يرضى !

ثم جلسنا نتجاذب اطراف الحديث مع الشاعر القروي . ونهضت وانشدت قصيدتي اللامية في تحية القروي بمناسبة عودته الى لبنان والى قريته « البربارة». وارتجل عبد المسيح كلمة موجزة رقيقة اشار فيها الى ذكرياته الجميلة مع صاحب المنزل الراحل امين الريحاني.

وبعد احاديث ادبية ممتعة حتى ساعة متأخرة من الليل ودع بعضنا بعضا . ولم التق بعبد المسيح بعد هذا اللقاء الممتع . وقد سافر الرجل الى مهجره بعد اشهر حيث توفي في ديار الغربة . رحمه الله .

بغداد **حارث طه الراوي**

الشاعر بولس سلامة

بقلم جرجي نصر

* * *

تغنى اللبنانيون حقبة من الزمن ولا يزالون يتغنون بروائع هذا الشاعر الخالد . وقد تذوقوا عصارة أدبه ، ورقة شعوره ، وروائع وحيه ، وبراعة تصويره ، وعمق تفكيره ، وقوة سبكه ، ومتانة عبارته ، واناقة صياغته ، واختيار الفاظه ، وحسن تركيبه .

هو ابن يوسف (١٨٦٥ ــ ١٩٤٧) بن طانس بن يوسف بن روكس بن سليمان بن مرعي سلامة ، ولطيفة بنت حبيب حنا قطار (١٨٧٥ ــ ١٩٤٢) ولد في بتدين اللقش ــ قضاء جزين ــ في ١٥ من تشرين الثاني سنة ١٩٠١ ونال سر العماد في كنيسة السيدة في قرية بسري ، وهي بلدة اثرية مجاورة لبلدته .

تلقى دروسه الابتدائية في قريته ، ثم عند الخوري يوسف سعد في بكاسين ، وكان من المتفوقين علما وادبا وذكاء ، ودروسه الثانوية في مدرسة الحكمة الزاهرة ببيروت ومدرسة الاخوة المريميين في صيدا وجونيه . وتضلع من اللغتين العربية والفرنسية .

ثم درس القانون في جامعة القديس يوسف ببيروت ، ونال شهادة الليسانس بتفوق ، وفي هذه الاثناء تجلت قدرته القانونية ، وبرزت مواهبه الادبية ، وظهرت له بواكير من روائع نثره وشعره ، كشفت عن كنوز يختزنها صدره ، نالت الاستحسان والاعجاب .

عين في القضاء اللبناني ، فكان نصيرا للحق ، ينصف المظلوم من الظالم ، واشتهر بعدله ونزاهته ، وصحة آرائه ، وبعد نظره ، ولم يزل يقوم بعمله خير قيام ، ورائده الضمير الحي ، حتى فوجيء بعلة استوجبت اجراء عملية جراحية ، لم تكلل بالنجاح بسبب اهمال وتقصير الجراحين ، جرت وراءها ، عمليات متعددة ، بلغت اربعا وعشرين ، سمرته على سرير الآلام مدة طويلة، ولا يزال يعاني من آثارها ، ما عاناه ايوب في بلواه ، وبفضل ارادته وثقته بربه ، ثبت في وجه الشدائد والملمات ، وتغلب على الاوجاع بايمانه وصبره .

وفي غمرة هذه التجربة القاسية التي مني بها ، لم تصرفه همومه واوجاعه ، عن مزاولة الادب والشعر ، فكان القلم رفيقه في محنته ، وسميره في وحشته ، وقد انطقه وفجر عواطفه ، واوحى اليه باروع شعره ، واحسن نثره ، وقد حبر المقالات الرنانة ، والبحوث الضافية التي دلت على مقدرته . ووضع كتبا قيمة ، تبحث في الادب والشعر ، بلغ عددها اربعة عشر كتابا ، دقيقة الوصف ، رائعة الديباجة ، متينة التركيب ، حبكا وبناء ، تصفحها المفكرون في مختلف الاقطار العربية ، وشهدوا ببلاغتها ، وغزارة مادتها ، وعمق بحثها ، فارتاحوا لها .

وقد اكبر الملوك والامراء والعظماء ، جهاده وادبه ، برسائل تدل على تقديرهم واعجابهم .

وليس هدفي من نشر هذه الكلمة المتواضعة ، التدليل على مقام هذا النابغة ، الذي احتله بأدبه وذكائه، فقد سبقني الى ذلك كبار رجال العلم والادب والاختصاص ، الذين اشادوا بعبقريته ونبوغه وتفوقه ، واطنبوا بمديحه وتقديره ، مع ذكر ما اتصف به من مآثر وفضائل ، انما خالفت هذه القاعدة ، وتناولت ناحية تاريخية ، وهي التعريف بالشاعر ، وذكريات طفولته وشبابه ، شئت ان اذكرها قبل ان يلفها النسيان وتطويها الازمان ، وهي جديرة بالنشر ، لما فيها من الفوائد الجزيلة ، والذكريات الغالية ، وحري بالاديب والمؤرخ ان يلم بها ، لينطلق منها الى اجواء ادبه وشعره.

وها نحن نأتي على ذكر ميلاد ونشأة وبلد الشاعر واسرته وجدوده ، منوهين بهذه الدوحة الزاهرة التي انبثق من اصولها وفروعها ، غصنا باسقا ، امتاز بصلابة عوده ، ومتانة جذوره .

بتدين اللقش : قرية عامرة في قضاء جزين ، دعيت بهذا الاسم ، لكثرة اشجار الصنوبر حولها ، وهي مسقط رأس الشاعر ومهبط وحيه ، ومسرح الهامه . ترتفع عن سطح البحر نحوا من ٨٠٠ مترا . تقع تحت دير سيدة مشموشة ، تكتنفها اشجار الصنوبر والزيتون من جهاتها الاربع ، فتجعل لها منظرا رائعا ، ويهب من اوديتها النسيم بليلا يعطر ارجاءها . تحيط بها قرى ومزارع ، وتطل على جبال شاهقة ، تزيدها روعة وجمالا. فيها جنائن الكرمة والفاكهة والاشجار المثمرة ، المياه مؤمنة فيها ، والطرقات معبدة ، واهلوها موصوفون بالكرم وحسن الضيافة .

اسرة سلامة في بتدين اللقش : أجمع المؤرخون في مختلف الادوار ، ان اللبنانيين ذاقوا في العصور الغابرة التي مروا بها ، جور الحكام ، وظلامة الاحكام ، ومرارة الاضطهاد ، التي كانت من نتائجها الوخيمة ، اثارة الضغائن ، وتفجير الاحقاد ، وفتح ابواب الهجرة . وكانت الحروب تستعر جذوتها حينا بعد حين ، فتقود البلاد الى الخراب والدمار .

ولنا دليل على صحة قولنا هذا ، هو سبب نزوح آبائنا واجدادنا الاولين من شمال لبنان الى جنوبه ، هربا من التعديات والمظالم ، وسعيا وراء الراحة والعيش ،

توبة الشاعر

★

مهدي صدرك واستلقي فؤادا | في هجير العمر . بالبغي تمادى
ذاق منك الحب واستعصره | شهوة راحت تذريه رمادا
فمضى يقطف أزهار الهوى | ويرديها غراما ووداداً
وسقته العطر في أوراقها | وجنى اللذات في الورد قتادا
فتراءيت له فارسة | تنهز الطهر بصحرائي جوادا
وتحولت لعينيه سنا | ضفر العفة حسنا وأجادا
تخلع الاشواك عن جبهته | ولغذي في التجاعيد الرشادا
نتفت منه الليالي ريشه | يا ملاكي . وأضلته مرادا
هجر الوكر ولم يعرف له | ملجأ غيرك في الدنيا فعادا
يشرب الماضي سرابا ويرى | لك في وهج الرؤى منه عهادا
أعذريه وامسحي أدمعه | وأمديه ذراعيك وسادا
فكفاه اليوم من أخطائه | توبة الشاعر بالعز تهادى

شارلوت ـ الولايات المتحدة — دياب ربيع

وهذه اسرة سلامة الكريمة في بتدين اللقش ، التي هاجر جدها الاعلى مرعي مع اخيه غانم في أوائل القرن الثامن عشر من مزرعة كفرذبيان الى قرية القبع في قضاء جزين ، وقد اعتنيا بالزراعة والفلاحة وغرس الاشجار المثمرة ، منها الزيتون والتوت ، وهذا النوع الاخير ، كان مصدر الرخاء للبنانيين ، بما كانوا يصدرونه للخارج من الحرير .

واحدهما مرعي سلامة (ابو سليمان) انفصل عن اخيه غانم ، وتوطن بتدين اللقش ، ومنه تفرعت هذه الاسرة ونمت فروعها . وقد نشأ منها احد كبار ادباء هذا العصر ، اديب زمانه ، المنشىء البليغ ، والشاعر الملهم الاستاذ بولس سلامة ، ولولا هذا الاديب الكبير ، لما كان لبتدين اللقش في التاريخ ذكر .

اما غانم شقيق مرعي ، فقد استقر في قرية القبع ، وتسلسلت ذريته ونمت فيها ، وعرفت باسمه ، وتفرعت في قريتي قيتولي وسنيا .

والجدير بالذكر ، ان لا صلة تربط هذه الاسرة ، بأسرة غانم التي في بكاسين ، خلافا لما ورد في تاريخ البطل اللبناني ابي سمرا غانم ، كما أكد لي ذلك الاستاذ بولس سلامة بنفسه .

والد الشاعر : ومما يجدر ذكره في هذا المقام ، ان يوسف والد الاستاذ بولس سلامة ، الذي ورث الشجاعة والمهابة عن جده يوسف ، كانت له قوة هائلة ، وسواعد مفتولة ، ومنظر مهيب ، ووقائع غريبة ، تدل على بأسه وبطولته واقدامه ، وفوق ما كان يتحلى به ، من عزة نفس وشهامة واباء ، كان ذا مروءة ونجدة ، وصاحب قول ومشورة ، ومن ذوي الخبرة والاختصاص في تجارة حرير القز ، يملك ارضا واسعة لزراعة الحبوب والقمح ، ولا ينسى مواطنوه ما قام به هذا الشيخ الجليل في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) من اعمال الرحمة ومساعدة الفقراء والمحتاجين ، اكسبه الاجر والثواب رحمه الله .

هذه ناحية مجهولة من حياة هذا الشاعر الفذ ، نضعها امام انظار المؤرخين ، فيها من ذكريات الماضي ، ما تسر الخواطر وتبهج القلوب .

وفقه الله في رسالته الادبية ، وزاده قوة ، وزال عنه كل عناء ، ومد بعمره خدمة للعلم والادب والشعر والفكر .

بكاسين ـ لبنان — جرجي نصر

الروابط المتفككة

بقلم عبد الحميد الانشاصي

قصة

حي قديم يخترقه شارع ضيق دوره متلاصقة . ومن حين الى آخر تطل امراة من سكان ذلك الشارع وتحادث جارة لها يبدو وجهها في نافذة من نوافذ منزلها الصغير . كأن تلك المنازل كومة من احجار تكمن فيها حيات لا تجد بدا من الخروج من احجارها في بعض الاوقات لتبحث عن قنائص لها . وعلى الرغم مما يبدو على وجوه جدران المنازل من الكآبة والوحشة فان الضحكات التي تنطلق من الداخل تبرد تلك الكآبة وتجلب الانس الى الرجل الغريب الذي يمر في شارع الحي الضيق .

ان رجال الحي لا يرون في الغالب الا في الصباح حينما يذهبون الى محال اعمالهم ، وفي المساء حينما يعودون منها الى منازلهم . لذلك يخلو الشارع من الرجال ساعات عديدة ، ولكنه لا يخلو من الصبية الذين يلعبون هنا وهناك وقد ارتفعت ضحكاتهم تارة وصراخهم وبكاؤهم اخرى . وبذلك يبعثون الحياة في ذلك الحي الساكن الهامد.

وذلك الحي وان كان معظم سكانه من العمال والفقراء فان بينهم رجالا لا يعترفون بسلطان الثراء او العلم او المنصب . لقد تكونت الزعامة في نفوسهم منذ سنين طوال. احدهم موظف كبير اسمه نزيه ، وهو يقيم في منزل قديم ورثه عن ابيه . وقد قعد به البخل عن الانتقال منه الى منزل حديث الشكل والبناء . والثاني اسمه سليم ، وهو حداد متقدم في السن الا ان حرفته التي تتطلب اعمال العضلات وتركيز قوى الجسم اكسبت جسمه قوة ومناعة ، فاحتفظ بمميزات الشباب وان كان مظهره مظهر شيخ . والثالث اسمه عبد الوهاب ، وهو سائق سيارة شاب . اشترى سيارة فخمة واسعة واستعملها في نقل الركاب من السوق الى الحي ومن هذا الى السوق . وله عدة سنين وهو يدفع ثمن السيارة اقساطا وان كان يدعي انه دفع ثمنها في اليوم الذي اشتراها فيه .

وهؤلاء الرجال اشتبكو مرارا في معارك كلامية واخرى جسدية سببها لهم اعتداء اولادهم الصغار بعضهم على بعض وهم يلعبون في الشارع . وقد سمع نزيه ، الموظف الكبير ، من الحداد وسائق السيارة كلمات ثقيلة قارصة لم يجد في نفسه جراة على صبها على احد من موظفيه الصغار الذين يعملون تحت ادارته. لذلك حدثته نفسه مرارا ببيع المنزل الذي ورثه عن ابيه ويشيد له منزلا آخر في حي يقيم فيه قوم محترمون . وكان ذلك الموظف قد مرن نفسه على النطق بكلمات مهذبة تكسبه مهابة واحتراما بين معارفه واصدقائه . انه يردد في معاملته لهم الكلمات : « من فضلك ، اذا امرت ، هذا من لطفك ، اعمل معروفا ، شكرا ! » . ولكنه اضطر بعد الخلاف الذي وقع بينه وبين الرجلين الآخرين ، سليم وعبد الوهاب ، ان ينطق بكلمات اخرى لم يتعود لسانه التحرك بها . اخذ يقول : « وقح ! وحش ! نوري ! » . ولكن هذه الكلمات لم تبلغ من البذاءة والوقاحة ما بلغته كلمات الحداد وسائق السيارة حينما تفقد حميا الغضب اتزان عقليهما ، اذ يقولان للموظف : « حمار ! كلب ! سافل ! سأدوس رقبتك بنعل حذائي . انك حقير لا تساوي فلسا واحدا . اسكت والا اهنتك وحقرتك امام الناس » . انهما يرددان ما تعودا ان ينطقا به امام اي رجل يقع بينه وبين احدهما شقاق ، ولا سيما السائق فانه تعود التقطيب في وجوه كثيرين من الركاب واسماعهم من الكلمات النابية ما يشفي به حقده . وهو لا يستطيع ان يرى فارقا بين رجل مهذب وآخر وقح . لقد تعود ان ينظر الى الناس نظرة واحدة ، وان يعاملهم معاملة واحدة ، وان يكون معتديا قبل ان يعتدي احد عليه . وكان الرجال الثلاثة اذا مر احدهم بالآخر في ايام السلم في شارع الحي نظر امامه في جمود او ادار وجهه عنه في نفور دون ان يلقي عليه التحية ، فكأنهم غرباء لا يعرف بعضهم بعضا او كأنهم لا يقيمون في حي واحد .

ان نزيها يبدو دائما في ملابس جديدة مرتبة وانيقة لان وظيفته تتطلب ذلك . وهو ينافس غيره من الموظفين الكبار ويأبى ان ينزل عن مستواهم في حسن المظهر ووجاهة الملبس . ومما زاده اهتماما بملابسه كثرة البدلات الجديدة المتقنة التفصيل التي يرتديها احد موظفيه الكبار . انه يخجل ان يدع ذلك الموظف يتفوق عليه في ملابسه.

اما عبد الوهاب فهو لا يرتدي ثيابا جديدة . لباسه القديم هو هو لم يغير ولم يبدل . بدلة قديمة وسخة تعلوها بقع من زيوت السيارة وآثار اصلاحها . ومع ذلك فهو معتز بمهنته ، ويمر بسيارته على نزيه او سليم كما يمر الوجيه برجل حقير لا يؤبه له . راسه عال وصدره مرتفع وكتفاه منتصبتان مستويتان كمنجم الميزان . وهو يشعر حينما

يسير بسيارته انه يدوس بقدمه رقاب من يبغض من الناس ويطأ رؤوس الابطال والشجعان .

اما سليم فانه يرى دائما مرتديا بدلة العمل – البدلة الزرقاء التي وسخها الحديد واصابتها النار بحروق . ولا يخلع عنه تلك البدلة القذرة الا في ايام الجمعات ، اذ يرتدي في تلك الايام بدلته الكحلية اللون ، وهي نظيفة ومكوية ، لكي يتمكن من ان يؤدي فريضة الصلاة في المسجد . انه يغلق حانوته في الجمعات ولا يمارس عمله ، وهو في ذلك يشبه الموظف الى حد بعيد .

(اصوات من الداخل : انا موظف كبير ادير مكتبا واسعا يعمل فيه عدة موظفين ، ومنهم من بلغ درجات رفيعة . فمن انت يا سليم ؟ انك لا تصلح كاتبا صغيرا في مكتبي . انت لا تعرف الا قياس الابواب والنوافذ وواجهات الفرندات ، ومعلوماتك في الحساب لا تتعدى الضرب والجمع . تكتب الارقام بيد ثقيلة وانامل غليظة كالاصابع الحديدية المركبة في النوافذ . وان اردت ان تكتب رسالة لتبعثها الى احد استشرت واحدا من المثقفين ورجوته ان يكتبها لك . انك أمي لا تعلم من شؤون الدنيا شيئا . ومع ذلك فانك تمر بي في شارع الحي كما يمر سيد محترم رفيع الشأن ، ولا تتنازل ان تلقي علي السلام . ان التجار الموسرين وذوي المصالح من الوجهاء يقدمون الي ويقابلونني في مكتبي الواسع ويتوسلون الي ان انجز معاملاتهم واقضي حاجاتهم . اما انت فانك تتكبر علي . هل انت اعظم شأنا من هؤلاء ؟ انك مغرور بنفسك . ان الديموقراطية لا تليق بامثالك لانك تستغلها في الانتقام من طبقة الموظفين) .

(اصوات من الداخل : من انت يا عبد الوهاب ؟ ما هذا التكبر علي ؟ انك تقود سيارتك متوهما انك تقود الكرة الارضية بيديك . تمر بالناس كما تمر بحشرات مؤذية . ان غرورك يوهمك ان الركاب الذين تقلهم في سيارتك تتعلق ارواحهم بحركات يديك على العجلة المديرة . فان شئت انقذتهم وان شئت أمتهم . وهذا ما يحدوك على ان تتوهم انك اشبه الناس بالطبيب وان الركاب الجالسين في سيارتك اشبه الناس بالمرضى . مصيرهم مرتبط بحركة منك كما ان الطبيب مصير مرضاه مرتبط بعلاجه او اهماله . وقد غاب عن بالك أيها المسكين ان بين الركاب من يمكنه ان يشتريك انت



عبد الحميد الانشاصي

والسيارة بماله . قل لي ايها المجرم ، كم رجلا قتلت تحت عجلات سيارتك ، وكم رجلا كسرت ويدا جرحت ؟ ومع ذلك فانك تدير عني وجهك حينما امر بك لئلا يلتقي نظرك نظري فتحييني) .

(اصوات من الداخل : انا حداد معروف . كل يعرف انني اتقن عملي واتفوق على غيري من ارباب مهنتي . أصحاب الدور يقدمون الى حانوتي ويرجونني ان اصنع لهم قضبانا للنوافذ ومصاريع للابواب . انا الذي صنعت لايوب بك واجهة ضخمة جميلة لفرندته التي يزدان بها قصره الفخم . انا الذي صنعت دفات ومصاريع حديدية لنوافذ وابواب ركبت في ثلاثمائة دار . كل يثني على عملي ويحترمني . اينما ذهبت وحيثما جلست لقيت من الناس ترحابا واحتراما . في حانوتي يستشيرني العمال في الاعمال التي يقومون بها ، وفي اثناء غيابي ينتظرني العملاء وذوو المصالح في الحانوت . فلا تشمخ علي بأنفك يا نزيه . انني سيد نفسي ورب مهنتي . اما انت فانك خادم لموظف اعلى منك) .

(اصوات من الداخل : ما اخف سيارتي ، وما اشد سروري وانا اقودها ! نعم ان قيادتها تتطلب مني انتباها تاما ونظرا ثابتا لئلا اصطدم بسيارة اخرى او ادوس احدا من المارة . ولكن النشوة التي اشعر بها وانا اقود سيارتي تجعلني اشعر انني احلق في السماء واطوي العالم ثم اقذفه من خلفي كما يقذف البطل خصمه من فوق كتفه ويلقيه على الارض . ان الركاب الذين اقلهم في سيارتي بحاجة شديدة اليها اذ لولاها لما استطاعوا ان يقضوا حاجاتهم . كم من شيخ يعجز عن صعود الجبل الذي شيدت داره على قمته اوصلته الى المكان الذي يقصده . وكم من مريض ذهبت به الى مستشفى عولج فيه حتى زال عنه المرض . وكم من موظف اوصلته الى الدائرة التي يعمل فيها قبل ميعاد حضوره المعين . وكم من عامل ذهبت به الى مكان عمله في الوقت المحدد . كل الناس في حاجة الي . وانا اقضي حاجاتهم جميعا لقاء مبلغ ضئيل من النقود . فأنت لست افضل مني يا نزيه . من أنت حتى أبداك بالتحية ؟) .

في ذات يوم راى اهالي الحي رجلا مرتديا بدلة بنية اللون وعلى

انفه نظارة ذات شكل جذاب . وكان صافي العينين هادىء النظرات . وقد انبعث من عينيه ابتسام خفيف مصدره تفاؤل ورضا بالحياة وقناعة بما احرز ذلك الرجل من توفيق ضئيل . جسمه رياضي ليس بالمتلىء ولا بالنحيف ، وراسه مرفوع ولكنه ليس مطلا من عل . رفعته الثقة بالنفس والابتهاج بتذوق متع الحياة . ومشيته خفيفة نشيطة ولكنها خالية من مظاهر الطيش والنزق . فمه واسع واسنانه كبيرة ولكنها جميلة ، وعيناه واسعتان لامعتان . وكثيرا ما يبدو في اثناء الجد مبتسما مع انه ليس كذلك . وهو وان كان اصلع الراس الا ان صلعته الملساء اللامعة منسجمة مع اسنانه وعينيه اللامعة وتزيد مظهره ابتساما . وهو يلاحظ الاشياء بنظرات سريعة مهذبة من عينيه الواسعتين دون ان يضطر الى الالتفات فيظن من يراه انه لا يلاحظ شيئا . وفي اثناء سيره يحرك يديه حركات طبيعية كأنه خالي البال من منغصات الحياة ومشاكلها . وكان وهو يسير يحيي المارة بعينيه المبتسمتين ، وبكلماته اللطيفة المنبعثة من فمه الواسع اللامع الاسنان ، وبهزة رشيقة من رأسه الضخم . فيرد عليه الناس التحية بمثلها او بأحسن منها . وهم يستغربون التودد الذي يبديه ذلك الرجل قبل ان يتعرف بهم ويتعرفوا به كأنه ليس غريبا عنهم مع ان انظارهم لم تقع عليه قبل اليوم الذي رأوه فيه .

انه استاذ يعطي الراسبين من الطلاب دروسا في اللغتين العربية والانجليزية . كان يدرس في الخارج ، ثم انتقل الى المدينة ولكنه لم يتمكن من العثور على منزل جيد خال فيستأجره ويقيم فيه هو وزوجته وولداه . وقد سمع بأن في ذلك الحي دارا صغيرة خالية فاستأجرها مرغما لانه لم يجد دارا خيرا منها في حي أرقى من ذلك الحي . وحينما قدمت السيارة التي تحمل اثاث منزله اطلت رؤوس اهل الحي على السيارة في استطلاع واهتمام كأنها كانت تنتظره لاستقباله . وقد حاسب الاستاذ سائق السيارة والحمالين في لطف وسرعة بدون ان يسمع له صوت عال او تذمر . ولما استقر في داره عرف اهل الحي انه استاذ يعلم اللغتين العربية والانجليزية . وبعد بضعة ايام عرفوا انه استاذ بارع . وراحت بعض الاسر ترسل اولادها اليه ليلقي عليهم دروسا في اللغتين . وكان يدرسهم بأسلوب شائق يحبب اللغتين اليهم ويسهل فهمها على اذهانهم . وكان تلاميذه من الناجحين في المدارس التي كانوا يدرسون فيها. فازداد الاقبال عليه ، وصار آباء الطلاب يلقونه في احترام وترحاب ويساعدونه في كثير من الامور . وقد اتخذ من بينهم كثيرين من الاصدقاء . واخذوا يزورونه في منزله ليستمعوا الى حديثه المفعم بالثقافة المفيدة والآراء السديدة والتسلية الطريفة . وبعد ذلك جعلوا يشرحون له مشاكلهم ليحلها بحكمة وفطنة . وكان في ذلك موفقا. فاثنوا عليه ثناء عظيما حتى ذاع صيته في الاحياء الاخرى من المدينة .

وكان من الزوار الرجال الثلاثة : نزيه وسليم وعبد الوهاب . ان هؤلاء الرجال المتعادين الذين لم تجمع بينهم دار قد جمع بينهم منزل الاستاذ صلاح . وكانوا في اول الامر يتفادى احدهم من التحدث الى صاحبه في ذلك المنزل. غير انهم ما لبثوا ان تدخل احدهم في حديث الآخرين . وبذلك اشتركوا مع بقية الجلساء في الحديث . وكانوا يتحدثون بروح مرحة وثغور باسمة وصدور منشرحة كأنهم لم يكونوا متعادين من قبل .

نزيه : لقد نجح ابنك في اللغة الانجليزية يا عبد الوهاب . والفضل في ذلك يعود الى الجهود التي بذلها الاستاذ صلاح في تدريسه . كان ابنك قد رسب في الانجليزية سنتين مما جعله يتأخر في الصف . لا شك ان الاستاذ صلاح نابغة في التدريس.

(اشكر الاستاذ لانه استطاع ايضا ان يؤلف بين قلبي وقلبك وقلب سليم . لقد اصبحنا الآن اخوانا) .

عبد الوهاب : ان فضل الاستاذ لا ينسى ، فقد كنت من قبل يائسا من نجاح ابني . أما الآن فقد اضاء مستقبله امام عيني . بارك الله في الاستاذ صلاح ووفقه الله !

(ان نزوله في هذا الحي بركة من الله حلت علينا جميعا . الحق ان الاستاذ صلاح ذكي جدا ، فقد نجح في تدريس اولادنا وفي غرس بذور الصداقة والمحبة في قلوبنا ايضا) .

سليم : وابني ايضا كان يرسب في اللغة العربية . ولولا جهود الاستاذ صلاح لما تمكن من الارتقاء الى الصف الذي يدرس فيه الآن . ان الاستاذ صلاح كله انسانية ونبل.

صلاح : استغفر الله ! ان هذا واجب علي . انني دائما على استعداد لان اقدم اية خدمة لاولادكم .

(لقد غمرتموني بلطفكم وكرمكم وثقتكم بي . وانني اشعر الآن انني اعيش بين اهلي وعشيرتي) .

نزيه : يسرني يا استاذ ان ادعوكم لتناول الغداء غدا في منزلي مع الاخ سليم والاخ عبد الوهاب .

وهكذا تمشت روح الالفة في الاشخاص الثلاثة ، وصاروا يتزاورون في مناسبات كثيرة : في ايام الاعياد والافراح والتهنئة بنجاح الاولاد في المدرسة او بولادتهم ، وكذلك في مناسبات الوفيات . واخذ كل منهم يلقي التحية على الآخر في ابتسام واحترام ، وجعل المحتاج منهم يقترض مالا ممن في

احزاني العميقة

الليل مسدول النقاب ‏ ‏ وبه أختفى وهج الشهاب
قد كان لي أمل بدا ‏ ‏ غض النضارة والاهاب
في وجنة الشفق البهيج ‏ ‏ يشع كالذهب المذاب
سحر الصبا ولى وما ‏ ‏ بقيت سوى نار ألتهابي
والشعر قد خنقوه في ‏ ‏ صدري وذاع صدى المحابي
وتنهدت حيرى بجسمي ‏ ‏ الروح من فرط أكتئابي
وانثال دمع محاجري ‏ ‏ مثل الجداول في انسياب
أترعت جفني من شواظ ‏ ‏ السهد من مضض العذاب
وتعثرت مني خطاي ‏ ‏ كزورق بين العباب
والافق لونه الغروب ‏ ‏ بلون يأسي واغترابي
وشرود فكري والاسى ‏ ‏ وخضم أحزان الغياب
والصمت والالم الممض ‏ ‏ وكل آهات العتاب
عزفت على قيثارتي ‏ ‏ أنغام نوحي وانتحابي
عطش تأجج في اللهى ‏ ‏ عطش النشيج لهول ما بي
أملي الشرود لقد هوى ‏ ‏ كالنجم في الارض الخراب
فذبحت كل مطامحي ‏ ‏ وقذفتها بفم التراب

بغداد ‏ ‏ خضر عباس الصالحي

سعة من العيش . وكان الناس المقيمون في خارج الحي يرون الاشخاص الثلاثة يسيرون في بعض الاحيان معا او يجلسون في المقاهي معا . وكان الذين لهم علم بحياتهم السابقة يعجبون لهذا التغير الغريب الذي طرأ عليهم . وكان ذوو الفطنة منهم يعزون ذلك الى لباقة الاستاذ صلاح وسعة عقله . وقد بلغت الصداقة والمودة بين اولئك الجيران الثلاثة درجة سامية اذ صار بعضهم يهدي الى بعض فواكه ويقدم الوانا شهية من الطعام والحلويات ، فكأنهم اصبحوا اقارب يعطف بعضهم على بعض وينجد كل منهم اخاه في اوقات الضيق .

وقال احد رجال الحي للاستاذ صلاح :

ـ ان نزيها وسليما وعبد الوهاب كانوا قبل مجيئك لهذا الحي اعداء. وهم الآن اصدقاء بل اكثر من اصدقاء . وقد كنا نظن انهم لا يتحولون الى اصدقاء الا بمعجزة، ولكنك استطعت بلطفك وانسانيتك ان تجذبهم اليك وان تجعلهم يجذب بعضهم بعضا .

ابتسم الاستاذ صلاح، ثم اتسعت عيناه وقال :

ـ انني لم اكن اعلم ذلك .

ثم اضاف :

ـ لا شك ان الاعداء الذين يتحولون الى اصدقاء تبلغ صداقتهم درجة تزيد سموا على الدرجة التي يبلغها الاشخاص الذين يتصادقون بدون ان تسبق صداقتهم عداوة . ان الاشخاص الذين تنتهي عداوتهم بصداقة يمتازون على غيرهم من الاصدقاء بأن عداوتهم الشديدة التي انقضى زمن طويل عليها قد تحولت الى صداقة مضافة الى الصداقة الجديدة .

فقال الرجل :

ـ ومعنى ذلك ان صداقتهم تدوم طويلا .

ـ طبعا ، لانها تشتمل على طاقة ضخمة من المودة وطاقة ضخمة من النفور من الرجوع الى العداوة .

عمان ‏ ‏ عبد الحميد الانشاصي

مكتبة الاديب

الوجه والقناع

مجموعة قصصية ـ تأليف ابراهيم المصري ـ ١٤٤ صفحة ـ من مطبوعات دار اخبار اليوم بالقاهرة

ما يزال الكاتب الكبير الاستاذ ابراهيم المصري يوالي تزويد المكتبة العربية بانتاجه المتنوع الغزير في فن القصة الذي كان هو احد رواده الاوائل في مطلع الثلاثينات وانفرد في ميدانه باسلوبه المتميز وطريقته الخاصة في المعالجة والعرض والتحليل .

وقد تناولنا هنا على صفحات « الاديب » القراء تقديم المجموعات القصصية الثلاث التي صدرت لـه خلال السنتين الاخيرتين وهي : « الكأس الاخيرة » و « شروق الاسلام » و « اغلال القلب » . ونتناول في هذه الكلمة مجموعته الجديدة « الوجه والقناع » .

واريد ان امهد قبل تقديمها بملاحظات عامة عن المؤلف وفنه القصصي في المرحلة الراهنة .

فابراهيم المصري رغم جهاده الطويل في حقل الادب والفكر ما يزال جم النشاط ، وافر الحيوية ، يواصل الاطلاع والبحث والموازنة ، ويحدد لقلمه مجالاته الواسعة بين تيارات الادب والفن المعاصرة . وآية ذلك كله انه ـ على ما نشاهده ـ يتطور بادبه وفنه وفق ما يراه الصالح النافع من الوان التطور .

ويعنينا بعد ما تقدم ان ننظر نظرة فاحصة ـ ولو عاجلة ـ الى فن هذا القصصي المبدع . نظرة تستخرج لنا الشروط الاساسية التي تحكم منهجه في العمل . فليس من شك في ان لابراهيم المصري منهجه الخاص الذي يعتمد في نظري على موهبة فنية فذة متى اتجه بها الى العمل القصصي فلا يعجزها ان تجرد العواطف مما يلابسها من احداث الواقع العديدة المتنوعة ، ثم تحيل تلك العواطف المجردة نفسها الى واقع وجداني باطني فيه حركة وحياة تحددها في تدفقها وانطلاقها ، خطوط واضحة بارزة تكاد تغني بذاتها عن الاستعانة باي حدث خارجي ... وبعبارة اوجز : هو لا يترجم العواطف الى احداث وانما يترجم الاحداث ما وسعه الى عواطف . والا فانه يطرح الحدث جانبا او يؤخره الى حين . فما الحدث الخارجي في منهجه التحليلي الخاص، او تجاه طاقته الشاعرية الغلابة ، غير شيء ثانوي ، مجرد اطار يحبس العاطفة ويضعها امام القارىء ، اطار ان اكتفى به الفنان فهو لن ينجز اي عمل فني متكامل وجاد .

تلك في نظري اهم الاسس التي ينهض عليها فن هذا القصصي . وفي هذه المجموعة « الوجه والقناع » مختلف الشواهد المؤيدة لما نذهب اليه .

ولعل « الوجه والقناع » بين سائر مجموعات ابراهيم المصري القصصية هي الوحيدة التي ينتظمها تيار متجانس الحركة والمجرى والهدف . فهي تكشف لنا في صورها المتعددة عن مأساة الانسان عندما يصطدم ـ خلال ممارسته لنشاطه الحيوي ـ بالازمات الوجدانية او الفكرية الحادة فيهتز فجاة ويتخبط « ويسقط عنه بالرغم منه قناعه الذي كان يحتمي به من تبكيت ضميره وحكم المجتمع . فنراه عندئذ على حقيقته في شره الصريح وفيما لا يزال يعتمل في وجدانه من توبة وندم وتعطش الى الخير والرشاد » . كما يحدثنا الفنان الكبير في الكلمة الرصينة التي صدر بها مجموعته .

وفي حذر الفنان المبدع الذي يتحاشى ان يقتحم بالفن منابر الوعظ السافر ، يشير ابراهيم المصري الى الهدف باصبع محايدة فيقول ايضا في الكلمة نفسها : « الانسان قصبة تحركها مختلف الاهواء والميول ، ومجده قائم في كفاحه ورفضه لكل زيف وتضليل في مشاعره وسلوكه بحيث ينطلق في الحياة واضح النية مشرق الصفحة لا يحجب وجهه من التمويه قناع » .

وتتألف مجموعة « الوجه والقناع » من عشر قصص هي على الترتيب : « اقوى من الحب ـ عندما يستيقظ الماضي ـ سهام القدر ـ اغراء الضياع ـ امرأة .. وخيالها ـ طريدة الحياة ـ نهاية امرأة ـ الاشباح ـ العودة او قناع الابد ـ حارسة التمثال » . وكلها من اللون العصري الشائق عدا « حارسة التمثال » فهي من اللون التاريخي . وكأني بالمؤلف قد جاء بحارسة التمثال قصدا في ختام مجموعته ليقول لنا في النهاية ان الشر وان كان متأصلا في الطبيعة البشرية من قديم الازمان والآباد ، الا ان توق الانسان الدائم الى الهداية والنور ما يزال يحدوه الى مواصلة السعي والجهاد ، حتى يبلغ غايته من تحقيق ما يصبو اليه من خير . فقصة حارسة التمثال تعبر عن زيف الحياة كلها في نظر فتاة مثالية سقطت الاقنعة امامها عن وجوه الناس فخاب املها فيهم جميعا وكادت تكفر بكل قيم الخير والجمال لولا ان انسانا اعلى خف لنجدتها وبصرها بأن تمثالها ، تمثال الخير الذي نحتته مخيلتها ، سيظل دائما ابدا هو حلم البشرية الغالي وحركة وجودها الدافعة الى كل سمو وارتقاء . فبدل ان تحطم المرأة تمثالها يأسا من الناس والحياة ، عكفت على حراسة التمثال لتقدمه هدية الى انسان المستقبل البعيد ...

ويؤيد ما نذهب اليه من ان المؤلف قصد الى هذا المعنى الانساني النبيل حين جعل من هذه القصة الرائعة الطريفة في ادبنا العربي مسك الختام لمجموعته ، يؤيد هذا ما نلاحظه من تقابل في المغزى والهدف بينها وبين اولى قصص المجموعة واعني بها قصة « اقوى من الحب » فهذه القصة ينتصر فيها الحب على كل شيء حتى على نفسه . اذ يتحول الى قوة عليا تقبل التضحية بنفسها لتنتصر دعوة الشرف والواجب والحب الاسمى ، على دعوة الشهوة والمصلحة والانانية . فكأن شيئا مما كانت تحلم به بطلة « حارسة التمثال » قد اخذ يتحقق في حياة بطلي « اقوى من الحب » .

وبين هذه القصة الاولى وبين تلك الاخيرة نشهد الوان التخبط والضياع التي ما يزال يعمه فيها ضمير الانسان وحسه ومداركه فيرتطم بين حين وحين في بؤرتها الحالكة .

واشهد ان ابراهيم المصري قد بلغ بمجموعته هذه ذروة التوفيق سواء في معالجته لموضوعاتها او في ترتيبه لتلك الموضوعات .

واذ كان لا بد لي هنا من الاختيار تأكيدا لما اسلفت من قول حول ما اعتقد انه المنهج التحليلي الخاص لهذا القصصي الفنان فاني اختار قصة « امرأة .. وخيالها » .

لا شيء في هذه القصة من تلك الاحداث المتلاحقة المفتعلةوالخارجة غالبا عن صميم المضمون ، والتي تشد انتباه القارىء فتشغله قليلا ثم لا تهديه الى شيء ذي غناء ، بل تكون في الحقيقة قد اراحته من كل تفكير جاد يكشف له عن الواقع في ابعاده السحيقة ـ لا شيء من ذلك في قصة امرأة وخيالها . فهي قصة امرأة عبثت بها الاحلام العريضة في

مطلع شبابها فلما اعياها ان توفق الى فارس احلامها اقترنت - مكرهة - برجل يكبرها باكثر من عشرة اعوام . وكان رجلا طيبا ومسالما احبها وانقطع لاسعادها واسعاد نفسه الى جوارها . ثم تبدلت المرأة فجأة اذ هامت بشاب هو الصديق الوحيد لزوجها وهام بها ايضا ذلك الشاب وتعاهدا على الزواج متى امكنها ان تنفصل عن زوجها الكهل . ولم يفكر الشاب لحظة فيما قد تستخدمه المرأة من وسائل لكي تتخلص من زوجها . ولكنه وقد اخذ يشاهدها تناصب هذا الزوج التاعس الساذج البريء شر ضروب العداء في خسة ونذالة وجحود واصرار لكي تحرجه وتدفعه الى طلاقها ، هال الشاب ما شاهده منها فتبدلت شيئا فشيئا صورتها في خياله فابصرها على حقيقتها وقد سقط عنها بالرغم منها قناعها الساحر ، امرأة متوحشة ، غولا مفترسا . فانسل من حياتها فجأة انسلال الطائر المذعور من قفص يوشك ان يطبق عليه . فحين سعت اليه المرأة تزف اليه بشرى خلاصها من زوجها لم يتردد وجابهها بما كان قد عقد عليه العزم من رفضه القاطع ان يقبلها زوجة له . فتحطمت المرأة وانسحقت وهي تبصر كل احلامها تتحول الى ركام واطلال .

تلك هي خلاصة قصة « امرأة .. وخيالها » بلا احداث مفتعلة ومثيرة ، وانما ينهض تأثيرها على ما يصاحب تصوير المؤلف للعواطف في تحولاتها العديدة ، من رصد دقيق للعوامل الخفية التي ظلت تحرك وتنمي بذور الفناء الحتمي لتلك العواطف الجامحة التي ضلت طريقها .

كل هذا يؤديه قلم ابراهيم المصري في اسلوبه الجزل الرصين وعباراته ذات الرنين الاخاذ والمحملة بضروب المجاز والاستعارة والتشبيه في غير ما تكلف او اكراه ينحرف بالمعنى عن جوهر المضمون .

ولا اجد ما اختم به هذه الكلمة خيرا من عبارة ترد على لسان بطل قصة « اقوى من الحب » . وهي : « كل انسان ينطلق في هذه الدنيا وعلى وجهه قناع . والاقنعة متعددة الاشكال والالوان ، والحياة نفسها كرنفال مضحك ومروع ولا يمكن الا لمن تجرد من الخيال والوهم ان يعثر فيها على وجه سافر التقاطيع واضح القسمات » .

ولو كان الاستاذ ابراهيم المصري في اول الطريق لهنأته هاتفا : مرحى مرحى ... والى الامام .

ولكني اهنيء المكتبة القصصية عندنا بهذا الاثر النفيس الذي سيحتل ولا ريب مكانته بين اروع آثارها ، واحناها على الانسان في عذاباته وتخبطه وقلقه ، واقربها كذلك الى الضمير الادبي المتفتح الحريص - رغم كل شيء - على تمكين هذا الانسان من كل ما يرتفع بميوله ونزعاته الى حيث تتحقق له انسانيته كاملة .

طنطا - مصر **ابراهيم سعد الجندي**

●

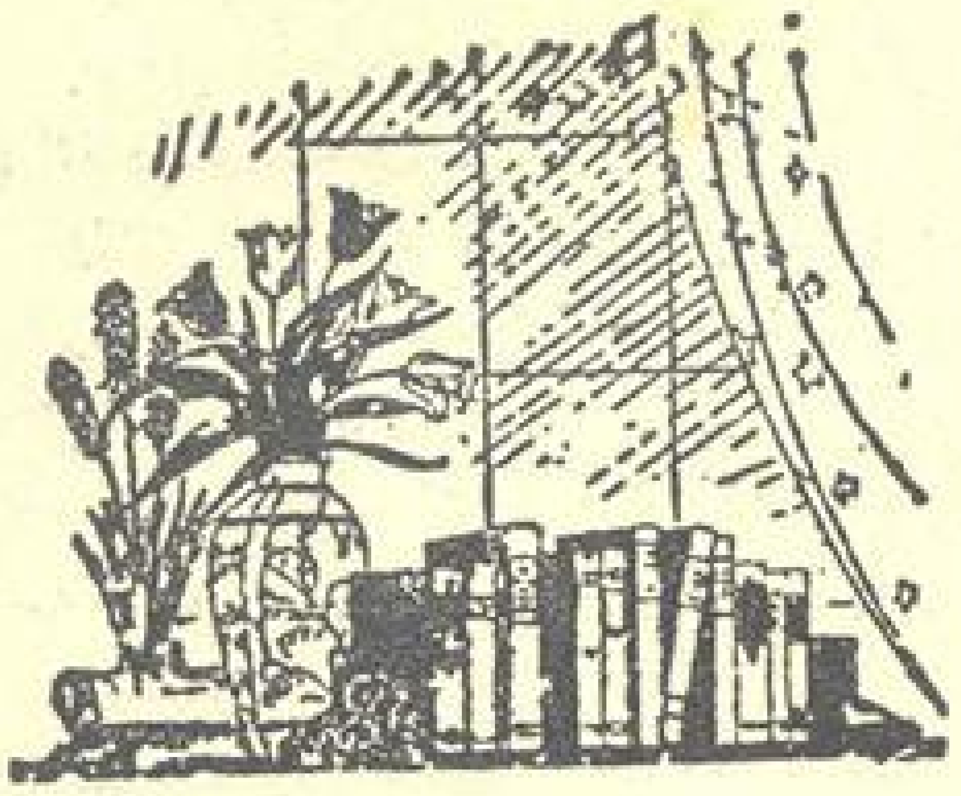
قصائد من مقبل العيسى

٤٨ صفحة - منشورات المكتبة الصغيرة - مطبعة الجزيرة بالرياض ١٩٧٣ م

على الرغم من صغر حجم هذا الديوان (٤٨ صفحة × ١٧ قصيدة) فقد قدم لنا فكرة صغيرة وان كانت غير متكاملة عن صاحبه الشاعر مقبل العيسى ، الذي عرفناه وقرأناه منذ الاربعينات ، والذي رافقناه من خلال قصائده التي كان ينشرها في الصحف السعودية وفي غيرها .

الا ان اروع وافضل قصائده هي التي لم يضمها ديوانه هذا ، ولست ادري ما هي الاسباب التي جعلته يخضع لشروط الناشر على حساب اهمال افضل قصائده ؟ اما كان من الخير له ولقرائه ومحبي

الاديب



⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير أديب

شعره الجميل لو انه ضم بين دفتي ديوانه هذا كل شعره الجيد الذي طالما اعجبنا به ورددناه معه .

ان مقبل العيسى شاعر عصري وسخي وهو ينهج في صوره وتعابيره نهج الشعراء المحدثين .

ولكنه جنى على نفسه كشاعر عندما فاجأنا بنشر هذه المجموعة الصغيرة من شعره ، مهملا احسن وافضل قصائده ، - لان شعر العيسى في حاجة الى تقويم ودراسة من قبل النقاد - وكان ينبغي له - طالما فكر في اصدار ديوانه - ان يقدم لنا افضل شعره وليترك لنقاده ، وليس لنفسه : حق الحكم والغربلة والتقويم ...

ان شعر العيسى ، في معظمه ، يلتزم بالاتجاه الكلاسيكي الرومانسي ، وهو عندما يكتب شعره يصب جل اهتمامه على الشكل الخارجي للقصيدة ، وليس على موضوعها ، ولذلك نلمس في شعره ، خصوصا في مقدمات قصائده ، اهتمامه بالجزالة اللفظية ، واختيار (المعاني) التي تثير عند المتلقي الاهتزاز والترنح ، وهو يحاول - قدر طاقته - الابتعاد عن الغموض والرمزية ويحاول - قدر طاقته أيضا - ان يجعل من القارىء صديقا يفتح له أبواب عوالمه الشعرية الفسيحة . فالمعاني في شعره لا تحتاج الى التفسيرات والتأويلات ولا تطلب كلماته وعباراته من القارىء الرجوع الى المعاجم والقواميس .

وفي بعض قصائد هذه المجموعة يلمس الناقد اثر بصمات عدد من الشعراء الذين ربما يكون الشاعر قد تاثر بهم ويحظى ابو القاسم الشابي باكبر نصيب في فرض سلطويته على الشاعر العيسى ، وخصوصا في قصائده : « ظلمة الغاب » و « نجوى القلب » و « طريق الحياة » .

ومع ذلك فان للشاعر العيسى قصائد كثيرة تتجلى فيها ذاتيته وشاعريته ، ولكن لا اعرف ماذا اصابه حتى اخفاها ولم ينشرها في ديوانه هذا ؟!

ونلاحظ ان تواريخ قصائد هذه المجموعة تتفاوت ما بين ١٩٥٢ م وعام ١٩٦٩ م . وهناك قصائد لم يذيلها بتاريخ (لماذا ؟!) ، وهذه القصائد التي نشرها اليوم لا تمثل انتاجه الكلي ، فهل هذه القصائد مختارات ؟ ومن الذي اختارها ؟ الشاعر أم الناشر ؟ ان كانت بالفعل مختارات فمعنى ذلك ان الاختيار لم يكن موفقا لان للشاعر مقبل العيسى قصائد كثيرة هي خير الف مرة من قصائده هذه ، ان في مستواها ، ان في موضوعها ، ان في روحها الشعرية ...

ولعل القصيدة الوحيدة التي تتجلى فيها شاعريته هي قصيدة « دعوة » ص ٩ التي نظمها عام ١٣٧٩ هـ والتي توفرت فيها كل الخصائص الجمالية .

ونورد فيما يلي القصيدة بكاملها لنرى الى أي حد يمكن للشاعر العيسى ان يفلت او يتخلص من تاثير الشعراء الآخرين معتمدا على اصالته وشخصيته :

وهذه هي قصيدته « دعوة » :

عصفور من دنيا عبقر — ينقر شباكي .. بفتون
حلو الاعطاف .. مفاتنه — في بسمة ثغر .. وعيون
عيناه كفيروز .. أخضر — والقد كلحن .. موزون
بفتون طاغ .. لا يقهر — للمرج الاخضر .. يدعوني
فالكون يعيش .. في مسرح — أوقات سرور .. ومجون
غده اطلالة .. عام — يحمل غصن .. الزيتون
فلماذا أعيش منطويا ؟ — أجتر همومي .. وشجوني
فالارض تدور .. من أزل — بوجودي حتما .. وبدوني
عصفوري الاشقر .. منطقه — احلى من نغم الحسون
بفتون طاغ يمطرني — وبراءة قلب .. يهجوني
عصفور لم يعرف يوما — طمعا لشقاء ملعون
يحيا بغرام .. للدنيا — بحرارة شوق وجنون

ان هذه القصيدة هي في رأيي ، أروع قصائد العيسى في ديوانه « قصائد من مقبل العيسى » فلقد صب فيها كل عواطفه وخلجاته الشعورية ، وجسد فيها (حبه) وجعلني ، كقارىء ، أتحسس معه اختباراته وتجاربه واشاركه في احاسيسه ووجدانياته ... لقد وجدت في هذه القصيدة جزءا من نفسي ، من مشاعري ، وتجاربي الذاتية ومتى أحس القارىء تجاه أية قصيدة بمثل هذه الاحاسيس يكون ذلك دليل اصالة القصيدة ، ولكن المؤسف له حقا ان هذه المجموعة من قصائد العيسى ليس فيها اية قصيدة اخرى يمكن ان تصل بمستواها الفني والشعوري الى مستوى قصيدته « دعوة » ، مع ان للشاعر العيسى - كما ذكرت في البداية - قصائد رائعة تضعه في صف الشعراء المتازين .

الا أنه - قد يكون لامر شخصي ما - لم يثبتها في ديوانه . والذي ارجوه هو ان يبادر شاعرنا العيسى الى اصدار ديوانه الكامل الذي يضم كل شعره ، لنتمكن من دراسته وتقويم شاعريته . ولنبحث عن سماته الاساسية كشاعر كلاسيكي ، وكشاعر مستقبلي ، وكشاعر توزعت همومه على كل فنون ومجالات الشعر .

اما هذه المجموعة « قصائد من مقبل العيسى » فانها - في معظمها - مقلدة اكثر منها معاشة ، ليس فيها حرارة التجربة الذاتية ، ولا صدق التعبير ، ومن اجل ذلك الح فاطلب من صديقي الشاعر ان يقدم لنا نفسه من خلال كل شعره .. فهل سيفعل ؟! .

محمد العامر الرميح

الرسول العربي وفن الحرب

تأليف اللواء الركن مصطفى طلاس - (؟) صفحة - منشورات الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة - دمشق

حين وقع ناظري على عنوان هذا الكتاب تذكرت مقالات كتبها المرحوم الفريق الهاشمي العراقي ، في مجلة « الرسالة » المصرية منذ سنتين عن التخطيط الحربي الاستراتيجي لحروب الاسلام الاولى ، وكانت الاولى من نوعها . والآن يأتي رجل عسكري آخر ، لامع الفطنة والثقافة، هو اللواء الركن مصطفى طلاس يعطينا كتابه الجديد على صورة اوسع، تناول فيه حياة الرسول العربي ومبعثه وبواعث ثورته الاسلامية ، وما تخللها من غزوات وحروب ...

ولا شك ان للرسول من عبقريته وجوها مختلفة ، ومن هذه الوجوه وجه الحرب التي فرضها عليه قومه وظروف رسالته التي كانت شاملة من هم ابعد من قومه ، ولذلك حفل القرآن بما لم يحفل به كتاب سماوي سابق ، من الحض على الجهاد ، كما حفل الحديث باحاديث في فضل الجهاد ، وهل اكرم من « ان تكون الجنة تحت ظلال السيوف » ؟

ان الكتاب هو « الجزيرة العربية قبل الثورة وبعدها ، وهو الرسول نبيا » وسياسيا وجنديا ، وبذلك اتسعت آفاق الكتاب ، واصبح يتصل بالقارىء الذي يهتم بالتاريخ وتحليل حوادثه ، والظروف التي رافقت هذه الاحداث ، وبالقارىء الذي يحفل بحياة الرسول ، والمراحل التي مرت بها ، واخيرا بالقارىء الخالص الذي يهمه ما جاء فيه من لقطات عسكرية فنية لا يقدر على كشفها الا أهل الفن العسكري .

وقد مهد اللواء الركن لكتابه بمقدمة رائعة ، حلل فيها الاسباب التي دفعته الى تاليف كتابه ، بالرغم من الشواغل التي تملأ ايامه . وتتلخص أسباب هذا التأليف في سببين : المحنة ، والصورة ، وفي

أيام المحنة يرتد الطرف الى الوراء ، كأنه يريد ان يستشف الضياء ، وان في التاريخ امثلة كثيرة تدل دلالة قاطعة على ان ما من أمة تعرضت أراضيها للغزو الاجنبي الا هبت تنشد ماضيها ، وتبحث عما فيه من امجاد لعلها تجد ما يبعث الحياة في حاضرها ، لتبرهن على أصالتها ودورها في الحضارة الانسانية . والرجوع الى التاريخ ليس معناه التعلل بالماضي ، ولا هو بالهروب من الحاضر ولا الاكتفاء بالعبرة كما يذهب اليه المؤرخون ، وانما هو تحفز وبعث للهمم الراقدة وايقاظ للروح المعنوية التي تجد في ماضيها عبقا ينفخ فيها الحياة . وأما الصورة ، فقد راع المؤلف ان يرى على الجدران صورا أجنبية ، تتحدث عن أمجاد وهمية ، ونحن لو اردنا ان نصور أبطالنا ، لملأنا جدران العالم صورا ، لها امجادها الحقيقية ، فدفعه ذلك الى اخراج اعز صورة عليه هي صورة البطل الاول : صورة الرسول العربي .

وقد أراد لهذه الصورة جانبا اغفله المؤرخون ، هو الجانب الاستراتيجي لغزوات الرسول العربي ، وانشائه اول جيش عقائدي في التاريخ ، حسب آخر معطيات العلم العسكري الحديث ، وفي سبيل اظهار هذا الجانب يظهر أخطاء بعض المؤرخين الذين يردون انتصار الرسول العربي الى خوارق غير اعتيادية ، لا الى تطبيقه مبادىء الحرب .

ومثل هذه الامة التي تميزت بهؤلاء الابطال لا يضيرها ان تضحي بمليون شهيد او بمليوني شهيد ، تشتري بهم عزتها وكرامتها ، لان ذلك افضل بألف مرة من ان تتحول الى قطيع من اللاجئين يهيم على غير هدى ، في صحارى الذل .

لذلك حاول اللواء الركن تفسير اعمال الرسول العربي الحربية والسياسية ، تفسيرا موضوعيا ، علميا مستعينا في تفسيره بعدد من المصادر القديمة والحديثة وليس غريبا ان يركز المؤلف همه على الناحية العسكرية اكثر من غيرها باعتباره جنديا ، وان يترك لغيره من المؤرخين ان يبحثوا عن شخصية الرسول وتعاليمه بينما هو ينصرف الى موضوع يحسه ويدركه ويحبه ، هو الكشف عن العبقرية الحربية في الرسول ، التي ترافق عبقريته في نشر الرسالة .

وبذلك جاءنا المؤلف بجديد ، يختلف عن كل جديد سابق ..

اما الكتاب فقد انطوى على هذه الاقسام الرئيسية :

القسم الاول : لمحة تاريخية عن الجزيرة العربية قبل الثورة تثبت ان العرب كانوا على اتصال بغيرهم من الشعوب ، وتأثر بالديانات التي عززت الشك في انفسهم وفي وثنيتهم ...

القسم الثاني : الرسول العربي وبداية الثورة الاسلامية ..

القسم الثالث : الرسول العربي وحروب الايمان ..

والمؤلف ينتقي من هذه الحروب أشدها اثرا ، وابعدها خطرا ، بدءا من غزوة بدر الكبرى ، فغزوة أحد ، فغزوة الاحزاب ، ففتح مكة ، ثم غزوة حنين وحصار الطائف ، ثم غزوة تبوك ..

وفي بقية الاقسام يحلل عبقرية الرسول القائد في فن الحرب ، والاستراتيجية العليا في فن القتال ...

وفي الحق أن الكتاب يبدأ من القسم الثالث الذي ينطوي عليه عنوان الكتاب ولكن القسمين الاولين كان لا غنى عنهما للتمهيد للموضوع ...

وطريقة المؤلف في التحدث عن الغزوات ان يعرض الغزوة واسبابها والتحولات التي مرت بها ، ثم يمضي الى استنتاجات عامة يستخلصها بتفكيره . من ذلك غزوة بدر التي مهدت للاسلام ، كان ظاهرها طلب المسلمين لقافلة من قوافل قريش ، ولكن لماذا ؟

لا شك ان اصابة اقتصاد العدو بالشلل فن من فنون القتال ، لانه يحرم العدو من موارده الرئيسية ، وينمي قوة الجانب الآخر ، ولئن فات المسلمين ان يبلغوا القافلة فما فاتهم ان يستدرجوا العدو الى معركة حطمت قوته المادية وروحه المعنوية ، وماذا تغني الجمال بعد فقد الرجال ؟

اما النتائج التي يراها المؤلف في هذه الغزوة فمنها انضباط المسلمين ، واستماع الرسول القائد الى أهل الرأي والمشورة ، ومنها ـ وهو الاهم ـ ذلك الاسلوب الجديد الذي ابتكره الرسول في المسير ، وتشكيل الكتائب على نحو جديد وذلك هو هم القائد الموهوب المجدد في كل زمان .

وحبذا لو أجاب المؤلف على هذا السؤال :

لماذا لم يواصل الرسول التقدم نحو مكة ، وقد بات اليها الطريق مفتوحا ؟ هل هو البعد ؟ ولم يكن اقرب اليه من مكة . هل هي قدسية مكة ، واحترام البيت الحرام ؟ ولو انه فعل لاثار حفيظة العرب عليه.

هل هو ما فعله بيسمارك اذ امر الجيوش البروسية ، بعدم دخول « فينا » بعد تحطيمها الجيش النمساوي ، منعا لزرع الاحقاد في النفوس بعد الهوان ؟ أم هو مسعى الرسول الى حقن الدماء ، في بلد عزيز عليه ، لانه كان يرى ان قريشا لن تستسلم اليه طوعا او كرها ؟

اسئلة مختلفة لا بد ان يكون الهدف واحدا منها ! ومن ذلك غزوة احد التي لم تكن بالنسبة الى بدر الا ما يدعوه أهل الحرب بالهجوم المعاكس .

وهذه الغزوة قد بدأت بشيء ، وانتهت بشيء ، بدأت بانتصار المسلمين ، وانتهت بالهزيمة ، وما كان مرد هزيمة المسلمين الى ضعف في قوة ، او وهن في عزيمة ، ولكن نقرأ خالفوا وتركوا مواضعهم ، فاهتبل فرسان خالد بن الوليد هذه الفرصة والتفوا حول المسلمين ، واوقعوا الخوف والاضطراب في صفوفهم ولولا احتفاظ الرسول برباطة جأشه وهدوء اعصابه وثباته على اصدار الاوامر من مركز قيادته ، مما اعاد الطمأنينة الى الصفوف لولا ذلك لكانت هنالك هزيمة شاملة لا يعلم الا الله عقباها . ولكن المشركين الذين كانوا حريصين على قتل الرسول ، متكالبين على ذلك لم تمكنهم الفرصة من ذلك ، بل اكتفوا بما اوقعوا في رجال الرسول واستداروا نحو مكة . وهنا ، يبرز نفس السؤال :

ـ لماذا لم يتقدم المشركون من قريش نحو المدينة ، حتى يصلوا بالمعركة الى آخر ابعادها ؟ هل هو الخوف من بعدهم عن مكتهم ومواردهم ؟ أم هو الخوف من المسلمين بعد ان ثبتوا ، وتجمعوا ،

واعادوا ضبط صفوفهم ؟ أم هو العجز عن مواصلة معركة رهيبة في احياء المدينة ، لا يدرون مصيرها ؟ أسئلة مختلفة لا بد ان يكون احدها مبررا لتراجع المشركين .

وأما غزوة الاحزاب (او الخندق) فقد اتسمت بكثرة الاحزاب التي تحالفت على حرب الرسول ، وفيهم اليهود ! وفي هذه الغزوة انصرف الرسول عن مبدأ المجابهة ، وانما لجأ الى اسلوب جديد هو اسلوب الحصار خلف الخنادق ، ووكل الى رجاله الاشداء مهمة اغلاق الثغرات ، وسد المنافذ التي يخترقها العدو ، وبفضل ثبات الرسول وصبر المسلمين على الحصار ، اوقعوا اليأس في صفوف المشركين وقد ساعدت عوامل الطبيعة على بث الخوف والفوضى في نفوسهم ، حتى اقلعوا عن غايتهم وارتدوا الى منازلهم خاسئين .

وهنا يبرز هذا السؤال : لماذا لم يثابر المشركون على محاصرة المدينة ، وهم يدركون ان المدينة ستقع بأيديهم لو طال الحصار ؟ هل هو الخوف مما تخوفوا منه من قبل ؟ هل هي منعة المدينة برجالها الاشداء ؟ هل هو الاسلوب الجديد الذي ابتكره الرسول ، ليكون مصيدة لكل من يحاول اجتياز الخندق ؟ هل هو شح الموارد ، وانقطاع المؤن عن جيش كبير ابتعد عن مراكز انطلاقه ؟ هل هو انشقاق كلمة الاحزاب بعد ان اعياهم الامر ؟ اسئلة مختلفة لا بد ان يكون السبب واحدا منها .

وحين جاء دور المبادرة فكر الرسول في فتح مكة ، اذ بفتحها يقضي على كل مقاومة ، ولكن مكة بلد حرام ، لا يحل فيه سفك الدماء ، وهل من سبيل الى احتلالها بدون سفك دماء ؟ فكر الرسول في طريقة ينال بها مكة ، من دون قتال ... وهدته عبقريته الى اتخاذ هذه الوسائل : القضاء على كل مقاومة في اطرافها . الاعتماد على عنصر المفاجأة ، حتى لا يدري أحد ، الى اين يتجه ؟ وتجهيز أضخم جيش عددا وعدة ، لا رغبة في القتال ، ولكنه اراد بهذا الجيش الضخم ان يقضي على الروح المعنوية عند أهل مكة .

وبذلك تحقق للرسول القائد النفاذ الى قلب مكة ، وفي مكة اعلن العفو عن كل من يأتيه مسلما ، وفي مكة أعلن نهاية عهد الوثنية . وبعد فتح مكة ، لم تبق راية للمشركين مرفوعة الا راية القبائل التي كانت تعتصم بالجبال والحصون المنيعة في الطائف وما حولها . وقتال هذه القبائل يختلف عن قتال القبائل الاخرى . ويبدو ان هذه الغزوة قد بدأت بداية سيئة بالنسبة الى المسلمين ، لانهم وقعوا في كمين للمشركين .

— أيوم كيوم أحد ؟

ولكن الصمود أعاد الكرة للمسلمين .

ويرى المؤلف ان هذه الغزوة استحدثت فيها فنون شتى من القتال وبأخذ على المسلمين غرورهم بكثرتهم ، وعدم الكفاية من الاستطلاع والحذر ، لكن هذه الاخطاء عوض عنها الصمود ، والثبات ، حتى انتهى الامر بالنصر لاصحاب العقيدة كما يرى المؤلف ان استخدام المسلمين للمنجنيق والدبابة ، لاول مرة ، لم يؤت ثمره ، فاضطر الرسول الى فك الحصار ، لا انهزاما ، بل ايمانا منه بأن الزمن يسير في صالح الثورة الاسلامية . وهكذا كان ...

وبعد ان استقر امر الجزيرة ، في ظل الاسلام ، التفت الرسول الى تحرير اطراف الجزيرة العربية من كابوس الاحتلال الرومي والفارسي ، فكانت غزوة تبوك الاشارة الاولى للخروج من حدود الجزيرة المغلقة ، وهي وان لم يكن لها سمات الغزو فقد رسمت للعرب خطة المستقبل .

بعد هذا العرض التحليلي لحروب الايمان ، ينتقل المؤلف بنا الى توضيح مزايا عبقرية الرسول في فن الحرب ، وما كانت الحرب عند الرسول هوى للحرب ، وهو الذي كان حريصا على حقن الدماء في أصحابه وفي اعدائه ، ولكنه آمن بالحرب التي فرضها عليه عدوه ، فما شن قط حربا عدوانية على احد وقد قاتل المشركين لانهم اضطهدوه ، وشردوه ، وقاتل اليهود لنقضهم العهد مرارا ، وقاتل الروم لاجلائهم عن بلاد عربية ليست لهم ، واذا ثابر أصحابه على قتالهم ، فلانهم لم يهدءوا عن الاعتداء على الثغور المسلمة ، كلما سنحت لهم فرصة الاعتداء واما مزايا عبقرية الرسول الحربية ، فقد خص المؤلف بالذكر منها هذه الميزات :

استخدامه لدوريات الاستطلاع ، واستجواب الاسرى بفطنة الاستدراج ، وخداع العدو والتمويه عليه ، وحسن التدريب والترتيب، والاعتماد على تقوية المعنويات بأية طريقة يراها صالحة ، واقتباس القوة من ايمانه بعدالة القضية ، وصحة العقيدة ، والشجاعة في مواجهة الخوف ، والدعوة الى وحدة الصف بين المهاجرين والانصار ، واستخدام الحرب النفسية لبث الرعب وهو القائل : « انـي نصرت بالرعب » واختباره للحرب الهجومية ، والحرب الوقائية ، والحرب الدفاعية تبعا للظروف ، دون تردد ولا تهور ، واعتباره نفسه القائد المسؤول في كل معركة ، واذا كان قائدا مسؤولا فليكن القدوة الحسنة لرجاله .

والقائد الحق المسؤول — كما يصفه المؤلف — ليس من يعرف ومن يأمر ومن يعاقب ، بل هو من يحمي كذلك اتباعه ، ويسهر على مصالحهم الشخصية ويدفع عنهم الغوائل ، ويجعل من نفسه قدوة صالحة لمرؤوسيه لانه يجسد في شخصه المثل الاعلى لهم .

ويجعل المؤلف « ان من صفات هذا القائد ، بالاضافة الى ما سبق ، ان يكون شجاعا ، ملما بمبادىء الحرب ، قادرا على اتخاذ القرار السريع الواضح في الوقت المناسب ، وذا خيال خصب ، ورؤية واضحة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة النصر ولا تثبط عزيمته مرارة الهزيمة ، ثم يجب ان يكون سابرا لاغوار النفس البشرية » .

وهذه المزايا — على تعددها — كانت مجتمعة في شخصية الرسول العربي ، فهو يستشير اصحابه ، ويصغي الى آرائهم ، على انه يظل صاحب الكلمة الاخيرة والقول الفاصل . وكان عادلا في معاملة رجاله ، شجاعا في المواقف العصيبة ، ومن ذلك صموده البطولي امام التحالف القرشي الوثني اليهودي — في غزوة الخندق ، الذي يعتبر مثالا للرجولة والثبات في المواقف الصعبة .

وكان ذا ارادة قوية ، نافذة في تحقيق الهدف ، يركز على الطاعة والانضباط التام . وكان يحسن اختيار القادة الاكفاء ممن يعتمد عليهم في تحمل المسؤولية ، دون اعتبار للصداقة والقرابة . وكان يملك وضوح الرؤية التي تكشف له عن المستقبل ، ولئن انهزم في غزوة « أحد » فما كان ذلك نتيجة خطأ منه ، وانما كان نتيجة من خالفوا أمره ... وكان يملك روح الفروسية النبيلة التي تعفو — بعد القدرة — عن الاعداء فتجعل من التسامح سلاحا أمضى من أي سلاح .

وكان يحسن تطبيق مبادىء الحرب ، ومنها حشد القوى حيث يجب ان يكون ، وعنصر المفاجأة التي تذهل العدو عن نفسه ، والاقتصاد بالقوى البشرية ، وسرعة التحرك والانطلاق .. ، ومخادعة العدو عملا بقوله « الحرب خدعة » كما ان له استراتيجية فنية تعبر عن ذكاء ودهاء يمهد بها للحرب قبل الحرب ، من ذلك تأسيسه قاعدة قوية ، آمنة في المدينة ، قبل ان ينطلق الى ما وراءها ، وتنظيمه للعلاقات العامة في المجتمع حتى لا يكون هناك اختلاف في الفرص ، وحرمانه عدوه من موارده الاقتصادية . ومن هذا المنطلق ومن القلعة الصلبة التي تركزت فيها الثورة الاسلامية ومن قلب المدينة قضى على الزعامات المكية ، وأجلى اليهود عن الجزيرة العربية ، وعمل على توحيد الجزيرة في ظل دين واحد ، وعقيدة واحدة تمهيدا لتحرير اطرافها من استعمار الفرس والروم . ولئن فاته ان يرى حلمه يتحقق ، فقد رأى من بوادر هذا الحلم ما يبشره بأن النهاية آتية لا ريب فيها .

هذا هو تعريف وجيز بالكتاب ، وهو تعريف لا يغني عن قراءته

والتمتع بسيرة رجل من اكبر الرجال الذين غيروا مجرى التاريخ حين خلق أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤدي رسالتها في اغناء الحضارة الانسانية .

فتحية الاعجاب للواء الركن مصطفى طلاس الذي فتح هذا الباب المبتكر بقلمه : ونحن ننتظر منه ، ومن قادتنا الاكفاء ان يدرسوا على ضوء هذه الدراسة أساليب ابطالنا السابقين في حروبهم الذين غلبوا الكثرة وهم قلة ، وجعلوا من الحرب أداة للتعمير لا التدمير ، ونضروا رمال الصحراء بعبق البطولات ...

حلب — خليل الهنداوي

•

١ — المراجع العربية والمعربة

تأليف عبد الجبار عبد الرحمن — ٥٥٦ صفحة — حجم كبير — دار الطباعة الحديثة بالبصرة

٢ — المكتبة ومنهج البحث

تأليف عبد الجبار عبد الرحمن — ١٧٨ صفحة — البصرة

علم المكتبات في مفهومه الحديث وما له من منهجية وتقنية وتكنولوجيا ومعاهد متخصصة ، علم حديث العهد والنشأة نسبيا ، نشأ في الغرب كعلم مستقل ، منذ اواسط القرن التاسع عشر ، مع بروز النهضة الصناعية والعلمية التي استشرت في اقطاره ودوله الكبرى . فقامت له هنالك مدارس ومعاهد ومناهج عملت على تركيزه علما باصول ، وفنا له قواعد مكرسة وقواعد موثقة ، فنما وتطور مع نمو حركة التصنيع .

وقد اقتبست بلدان الشرق العربي هذا العلم في جملة ما اقتبسته من علوم الغرب ومنهجيته بعد الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ، واخذت تشعر بضرورة تأهيل اختصاصيين من ابناء البلاد يتولون العمل ، بعلم وفن واصول في ادارة المكتبات والمؤسسات الثقافية في دور الكتب والجامعات العربية ، ولا سيما في المكتبات التي اخذت تظهر هنا وهنالك . فاوفدت البعوث الى معاهد الغرب ، في اوروبا والولايات المتحدة الاميركية ، لتلقي اصول هذا العلم الحديث والتدرب فيها على الخدمة المكتبية والتخرج بفنونها ، وفقا لمنهجية علمية آسرة . فاحدث بعض هؤلاء الرواد لدى عودتهم من تخصصهم في الغرب ، وعيا ويقظة تبلورت عن ابحاث تطالب بانشاء معهد عال لدراسة هذا العلم وتدريسه ، يقوم في احدى الدول العربية ، يكون برنامجه مستوحى من حاجات ثقافتنا العربية والاسلامية . وقد اشتدت حركة التأليف والنشر في هذا المجال بعد ان تكاثر عدد خريجي معاهد المكتبات من العرب وذلك باشتداد الشعور الى مؤلفات تقنية عربية سدا لثلمة في ثقافتنا العلمية .

وقد ظهر في الآونة الاخيرة في عدة انحاء من العالم العربي ، في لبنان ومصر والعراق ، عدد طيب من المؤلفات في علم الكتب والخدمة المكتبية والفهرسة العلمية لفتت الانتباه والنظر ، بينها الكتابان اللذان اثبتنا عناوينهما اعلاه . وهما من تأليف عالم واديب عراقي متخصص ، هو الاستاذ عبد الجبار عبد الرحمن . فمن هو هذا الاستاذ الاختصاصي بعلم المكتبات ، وما الذي يمثله ، واي محل لكتابيه هذين في علم المكتبات والخدمة المكتبية ، يا ترى ؟

الاستاذ عبد الجبار اديب عراقي اخصائي ثقيف ومدرس في كلية الاداب في جامعة البصرة ، ماجستير في علم المكتبات ، تخرج بهذا العلم في احدى الجامعات الاميركية منذ نحو ثماني سنوات . وهو الى هذا ، امين مكتبة جامعة البصرة ، هذه الجامعة الناشئة التي تنمو بسرعة وتتطور في تكاملها الصاعد ، كما ان مكتبتها تنمو هي الاخرى وتتكامل في اتساق وانسجام مع الجامعة بفضل ادارته الرشيدة وبفضل ما تم له من اختصاص وما ينعم به من خبرة واسعة في الخدمة المكتبية .

بلغتني اخبار نشاط الاستاذ عبد الجبار وبروز اسمه في الحقل المكتبي من خلال النشرة الدورية التي تصدر عن مكتبة الكونغرس في واشنطون ، ومنها عرفت انه يعمل في جناح الشرق الادنى في المكتبة المذكورة بهمة ونشاط لفت نظر المسؤولين فيها لما يبذله من عناية وجهد في تنظيم هذا الجناح العربي التركي الفارسي فيعمل بعلم وفن ، على تطويره واغنائه بالاصيل من المصادر والمراجع المتعلقة بالثقافة العربية والاسلامية ..

وفي طريق عودته الى العراق عائدا من اميركا ، مر ببيروت فاتيح لي التعرف عليه وسبر غور علمه وخبراته الفنية ، كما سعدت بلقائه من سنتين في البصرة ، بمناسبة مهرجان المربد الذي قام فيها من ١—٧ نيسان ١٩٧١ ، فقد زرته في الجامعة ، وفي مكتبة الجامعة وشاهدت باعجاب وتقدير عاليين الانجازات التي تمت على يده في مكتبة الجامعة. وبت اتوقع المزيد منها مما يعود بالخير على هذه المؤسسة الثقافية . وها هو يحقق في مجال التأليف ، الآمال المعقودة عليه باخراجه ، على وجه مشرق ، ومنهجية علمية آسرة ، كتابيه المذكورين اعلاه فجاءا تمييزا وتجسيما لهذه الرؤى المثالية التي تبدت له .

فاولهما : « دليل المراجع العربية والمعربة » سفر ضخم يعرف الباحثين والعاملين في الحقل المكتبي ، بالمراجع الاساسية والاصول

المهمة المتعلقة بانواع المعرفة البشرية كما وزعها ديوي في تصنيفه العشري . فيبين اهمية « المراجع » في المكتبة الحديثة ولا سيما العربية منها التي لم يالف اسماءها ، دارسو هذا العلم في الغرب ، ويحدد معايير تقييم المراجع ، والوصف الببليوغرافي ، والوصف الموضوعي والتصنيف الموضوعي للكتب . ثم يستعرض تحت كل باب من ابواب المعرفة البشرية ، المراجع الرئيسية للعلم المذكور ، ويصفها وصفا دقيقا معينا طبعاتها المختلفة ، محددا مضامينها .

وقد قسم هذه المراجع الى مراجع عامة . ومراجع الفلسفة وعلم النفس . ومراجع الدينيات ، ومراجع العلوم الاجتماعية ، ومراجع اللغة العربية ، ومراجع العلوم البحتة ومراجع العلوم التطبيقية ، والفنون الجميلة ، ومراجع آداب اللغة العربية ، ومراجع التاريخ والجغرافية والتراجم . وانهى الكتاب بثلاثة ملاحق مختلفة هي : كشاف المؤلفين وكشاف العنوان وجدول الخطأ والصواب .

فالكتاب اداة علمية ممتازة وعدة للباحث وللمكتبيين لا يستغنى عنه يجب ان يكون في متناول العاملين في المكتبات العامة . ولا يضيره قط ان يكون فات المؤلف ذكر بعض المصادر والمراجع الهامة ، وهو يعمل الان على استدراك ما فات في اعداده طبعة جديدة منقحة لهذا الكتاب ستصدر قريبا .

اما الثاني من هذه الكتب التي صدرنا بها كلمتنا هذه ، فعنوانه: « المكتبة ومنهج البحث » فهو كتاب فني تقني يدخل في صميم الخدمة المكتبية ويأتي منها بمثابة الركن او الحجر الاساسي . فهو دليل الباحث والطالب الى وسائل استخدام الكتب والمكتبات ويتألف الكتاب من تمهيد وخمسة فصول ، في آخر كل فصل المراجع الخاصة بموضوعه ومادة بحثه .

يبحث الفصل الاول في الكتابة والكتاب والمكتبات فيستعرض نشأة الكتابة ، وتطورها ومواد الكتابة . ويأتي بايجاز على تاريخ المكتبات في العصور القديمة ، واختراع الورق ، كما يبحث في الكتابة والتاليف عند العرب والمسلمين ، والطباعة والكتب والمكتبات في العصر الحديث .

ويبحث الفصل الثاني في علم المكتبات الحديث فيتناول تنظيم المكتبة الحديثة وتصنيف الكتب وتنسيقها على الرفوف ، واقسام تصنيف ديوي العشري وفهارس المكتبة واقسام الكتاب ومحتوياته ، بينما يتناول الفصل الثالث بالبحث شروط البحث العلمي والخطوات التي يقتضيها اعداده والشكل النهائي له واعداد قائمة المراجع الببليوغرافية .

اما الفصل الرابع فيتناول بالتحليل والتعريف الدقيق كتب المراجع مبينا انواعها وترتيب المواد في المراجع ، والببليوغرافيا وفهارس المكتبات العلمية وفهارس المكتبات العربية ، وأدلة الدوريات ودوائر المعارف او الموسوعات العربية منها والغربية والمعاجم العربية ومعاجم التراجم والسير والمعاجم الاجنبية .

ولعل الفصل الخامس اهم فصول الكتاب واكثرها اغراء وتشويقا اذ تدور ابحاثه على التراث العربي القديم ، فيبحث في المخطوطات العربية واماكن وجودها ، ومعايير تقييم المخطوطات وفهارسها في الشرق والغرب ، ويجول في كتب التراث العربي ويقيمها ويبين اهميتها، ويستعرض الموسوعات القديمة وكتب التاريخ الاسلامي وتراجم الادباء والشعراء .

هذه صورة مجلوة لهذا الكتاب الفريد في بابه . فقد سد صدوره فراغا في المكتبة العربية ، كما يقدم خدمة لا تقدر للعاملين في الحقل المكتبي في البلدان العربية التي تفتقر جذريا الى مثل هذه المؤلفات التقنية التي يقتضي وصفها الكثير من الاطلاع الواسع ، والعلم المستبحر والخبرة المكتسبة والمران الطويل والعمل الدؤوب والصبر الجميل والايمان الحي . كل ذلك تم بعلم ومنهجية يرضيان الفن ومطلب العلم ويعود بالفضل والثناء للمؤلف الذي يعمل في الحقل المكتبي باخلاص ونشاط ، بصمت العلماء وتجردهم .

يوسف أسعد داغر
الخبير بعلم المكتبات والببليوغرافيا
والتوثيق العلمي

•

أغنيات للارصفة البالية

ديوان شعر ـ لاسماعيل عامود ـ ١١٠ صفحات ـ نشر دار دمشق الطبعة الاولى ـ ١٩٧٢

هذا هو الديوان الرابع للاستاذ اسماعيل عامود ويضم بين دفتيه قصائد من الانماط الثلاثة الشعر العمودي والشعر الحر والشعر المنثور وكلها في الحقيقة من مستوى لائق وجيد أسلوبا ومضمونا صياغة ومعنى ..

ولا نكران ان الاستاذ اسماعيل عامود احد الشعراء الشباب الموهوبين الذين اوجدوا في سورية العربية الشعر المنثور ، الا انه مع ذلك يقرض الشعر العمودي ، والشعر الحر بنجاح ، وتفوق ، والديوان « اغنيات للارصفة البالية » دليل شيق وحي على اصالته وشاعريته وموهبته ..

ان قصة الشعر المنثور وايضا الشعر الحر في سورية العربية هي قصة الايمان بالجرس والرؤية والفكرة والاحساس .. هذا الايمان الذي بواسطته يخضع شعراؤنا الشباب مقاصد التعبير للجرس الشاعري فينثرون الاشعار او يرسلونها حرة تقوم على التفعيلية ..

وبين شعرائنا الشباب الذين خدموا الشعر المنثور يظل اسماعيل عامود رائدا أصيلا لهذا النمط الشعري الذي استهوى عـددا مـن شعرائنا الشباب منهم سليمان عواد والياس الفاضل ومحمـد الماغوط وجوزيف عبد الاحد وانعام صالح وغازي عرابي وراجي الراعي وحميدة النعنع وغيرهم .. ناهيك برواد الشعر الحر الذين يزدادون يوما اثـر يوم في سورية العربية يجودون نظمهم الحر اكثر فاكثر ..

وميزة الديوان انه من ألفه الى يائه موحد الموضوع وهو ترنـم بالحس المكاني ، او لنقل حس الارض والبيئة والوطن سواء القرية او المدينة او المقاطعة .. ان الحس المكاني في قصائد الديوان غالبة علـى الحس الزماني وتدور معظم قصائد الديوان حول دمشق ، شوارعهـا جبالها شتائها جهادها او ايضا حول القنيطرة او الجولان او سوريـة وفلسطين ..

وفي حدود هذا الحس المكاني ، البيئي نجد الشاعـر يتغزل ، او يصف الواقع ، او يبث همومـه ، او يرسل صيحـات الطمـوح ، والقصائد في ذلك متنوعة ، تسربلها في بعض الاحيـان مسحة رمزيـة شفافة .. ان الشاعر مع الواقع مع البيئة اكثر منه مـع التجربـة الداخلية من ذكرى او حلم ، ولكنه صادق العاطفة وطموح فهو يقـرر واقع البؤس والفقر والنكسة ليبعث في القراء روح العمل والمقاومـة والصمود ..

يقول في قصيدة « تحت المطر » :

صديقتي ، تساقط المطر
وليس في مواقدي حطب
وليس في لهاتنـا غناء
يفيء في دمائنا الضجر
تساقط المطـر .
وبلدتي فقيرة كئيبة
وحيث لا لحوم ، لا طعام
تمر في جماجم الظلام
مواكب المواسم الجديبة .. الخ ..

او يقول في قصيدة « وعد الى مدينة مرمية » :

رأيتك يا قنيطرتي كقبرة
بقلب الصبح تشكو فرقة الافنان
ـ من دارك ..
وتومي للشذى والريح في أرتال زوارك
تبشرني بأن القمح والرمان
مضفور لاطيارك ..
أيا مسلوبة الاردان لن تيأس روابيك
لان بنادق الفرسان آتية ،
على وعد مع الجولان ،
في الفجر ، تحييك .. الخ ..

وفي الوقت الذي تفصح قصائد الديوان عن كآبـة وثرثـرة وتسكع واقعية صميمية ، نجد الروح الثورية تلفـح قلب الشاعر وقلمـه لتمنحهما التفاؤل والصمود والسلوان ، يقـول في قصيدة « جـراح للمدينة الميتة » :

حياتي مأساة تسحقني بلا خجل
والمدينة تسقط عن حافة العالم وهي جذلى
اللصوص دحرجوها في الطريق
الى سديم كافر بلا تخوم
لـم كنت منها ؟.
ثورتي ان ألعن حتى نفسي
ان اسحق تراب روحي
وانفلاتي أن أحقق ذاتي ..
غايتي ان ازدري المارة والاشياء بضحك غرير
ذراعاي المكبلتان بالتعب
تلوحان للحرية المريضة في الاقبية الغامضة
وهؤلاء الناس يقتلهم الترف
وقد مات الانسان فيهم ، قد مات .. الخ ..

فتحيتنا للشاعر اسماعيل عامود على أصالته ، وصدقه مع نفسه، وقرائه ، والى اللقاء في ديوان مقبل ..

دمشق **عدنان بن ذريل**

●

١ ـ شبـاك وسنانـير

قصص قصيرة ـ تاليف كوثر عبد الدايـم ـ ١١٢ صفحـة ـ مطبعة الاستقلال الكبرى ـ القاهرة

شباك وسنانير .. اسم المجموعة القصصية الاولى للاديبة القاصة كوثر عبد الدايم التي تكتب القصة منذ سنوات .

والمجموعة تضم ١٢ قصة تحمل العناوين التاليـة : الوشاح ـ الشال الاحمر ـ المدينة ذات التمثال ـ نوناس ـ شبـاك وسنانير ـ الجلباب العاري ـ الحزن الاخضر ـ القلم المكسور ـ النجم اللامـع ـ الدوائر والعقارب ـ ذكاء ـ يوميات اتوبيس .

ويجدر بنا التعرف على فن القصة القصيرة عند كاتبتنا الشابـة من خلال عرض سريع لبعض القصص الممتازة في مجموعتها ..

ففي قصة « الشال الاحمر » ، ولعلها ـ في رأيي ـ مـن اجمل واجود قصص المجموعة ، فهي تصور الفتاة الريفية بأحلامها مـن خلال تصوير وتحليل عميقين ، فالفتاة « سلمى » تعجب بشال احمر يباع في سوق القرية ، وتود ان تبتاعه ، ولكنها لا تملك ثمنه .. الامر الـذي يضطرها الى طلب النقود من أمها ، غير ان الام تعتذر لهـا بضيق ذات اليد ، وتنصحها بتجميع بيض الدجاج حتى تستطيع ان تبيعه وتشتري الشال ، فتقوم باحصاء البيض ، ومع مضي الايام ، يتوفر لها عـدد البيض الذي تبيعه وتحصل على الشال ، ثم تعود به وهو مستقر على

كتفيها بينما اصابعها تنزلق فوق خيوطه الحريرية الناعمـة ، وعندما يراها والدها يهوى بيده على وجهها ، ويمزق الشال .. وتحس هي ان قلبها يكاد يتمزق هو الآخر .

ولعل قصة « شباك وسنانير » التـي سميت المجموعة باسمهـا تشترك مع سابقتها من حيث الجودة والنضج ، كمـا ان احداثهـا ـ ايضا ـ تدور في الريف ، فهي تعكس لنا صورة حية لحيـاة بعض الفلاحين البسطاء ، فليس هناك حديث في القرية الا عن شيخها الذي رأى في الحلم ان سر سعادتهم يتمثل في السمك الذي يمـر بالنهر ، والذي يتغذى بالحبوب الموجودة في قاع هذا النهر ، وهذه الحبوب اذا زرعت في الحقل ، فانها ستمنح صاحبه السعادة .. ويخرج أهل القرية وهم يحملون شباكهم وسنانيرهم ، ويبحثون في بطون السمك عن البذور التي حلم بها شيخ القرية ، ولكن بلا فائدة ، مما يجعل الرؤيا تفقـد امانها عند الكثيرين ، الا سمعان « الذي وجد في جلسته علـى شاطىء النهر شيئا جديدا ملأ حياته » .. ويتعود أهل القرية رؤيـاه علـى شاطىء النهر بينما ترتسم على وجهه علامات السعادة والرضا .

واما « القلم المكسور » فهي اقرب الى الصورة القصصية منها الى القصة القصيرة من حيث طريقة التناول ، وبالرغم من هذا ، فهي تمتاز بانسانيتها وواقعيتها .

ونستطيع القول بأن باقي قصص المجموعة تتميز بجودتها ونضجها وانسانيتها ، ولعله من المهم ـ بعد ذلك ـ الاشارة الى أهم الخصائص التي امكن استخلاصها من خلال قراءتنا لقصص المجموعة ، ونجملها في النقاط الآتية :

ان اغلب قصص المجموعة تتميز بروعة التصوير ودقة الملاحظـة عند قاصتنا .

تبدو كل قصصها متنوعة ومتعددة الموضوعات ، وهي مستمدة من حياة الناس سواء في مجتمع القرية ، او مجتمع المدينة .

ان الكاتبة قد لجأت الى استخدام الرمز في بعض قصصها ، وقد كانت رموزها موظفة توظيفا جيدا لخدمة اعمالها .

ان الكاتبة تستطرد احيانا في السرد ، وفي أحيان اخرى تجنح الى المباشرة والتقريرية .

ثم تبقى ـ في النهاية ـ ملاحظة سريعة ، فالمجموعة لم تخل من بعض الاخطاء اللغوية والمطبعية التي ينبغي على الكاتبة ان تتجنبها في اعمالها المقبلة .

.. تحية للاديبة الشابة كوثر عبد الدايم لمثابرتها وطموحها مـن اجل اصدار مجموعتها القصصية الاولى .. تلك المجموعة التي تبشر بميلاد قاصة واعدة .

٢ ـ رحلة بين عصرين

تأليف توفيق الحكيم ـ ١٤٢ صفحة ـ الناشر دار الكتاب الجديد ـ مطابع الاهرام التجارية ـ القاهرة

يعتبر هذا الكتاب احدث ما صدر لكاتبنا الكبير الاستاذ توفيق الحكيم، اطال الله في عمره .

وينقسم الكتاب الى ستة اقسام تحمل العناوين التالية : رحلة على جناح عصفور ، ورحلة حول الماضي ، ورحلـة حول الشخصيـة المصرية ، والعوالم ـ وهي قصة وصفية تصور رحلة لعوالم الافراح ، ومن رسائل زهرة العمر ، والعقلية المصرية ـ وهي مختارات من رسائل متبادلة مع الدكتور طه حسين عام ١٩٣٣ .

وحول فكرة هذه الرحلة يقول : « لقد عرض علي القيام بها منذ سنوات ، وكنت أتكاسل واتخاذل وأؤجل التنفيذ من عـام الى عـام مخترعا شتى الحجج ، الى ان فكرت اخيرا في هذه المرحلة من عمري . وايقنت ان كل عام يمضي تزداد بي السن تقدما والصحة ضعفا . فلن احتمل بعدئذ السفر . وحزمت امري وقمت انفض الغبار عن همتي .. لكن ما هو المطلوب مني ؟.. قيل لي الامر بسيط . انها رحلة انطباع عابر لاول رحلة لك الى اوروبا قمت بها في الماضي ، ولرحلة اليـوم التي تقوم بها في الحاضر .. ولكن الامر ليس سهلا فقـد مضى نحـو نصف قرن بين الرحلتين .. فصور الماضي كادت تزول من رأسي . اما الحاضر فاني اواجهه بنفس شاخت وفقدت الكثير مـن مـرح الشباب وانطلاقته وحماسته ودهشته » .

وهكذا يمضي استاذنا توفيق الحكيم في كتابه ، فيلقـي نظرات سريعة هنا وهناك ، ويحلق ويحلل ويقارن ويسجل انطباعاتـه باسلوب شيق رشيق ، فالخاطر يجر الخاطر ببساطة وبلا ترتيب عبـر الماضي والحاضر .

ويعود بنا توفيق الحكيم الـى الوراء ، فيعتصر رأسه ليستخلص منه ذلك الشريط من ذكريات الماضي الذي مضى عليه قرابة نصف قرن.

ففي مطلع العشرينات من القرن الحالي سافر الـى فرنسا عـن طريق البحر لاول مرة في حياته ، ولم تكن الطائرات قد استخدمت فـي السفر . هذه الرحلة الاولى كانت بعد حصوله علـى ليسانس الحقوق وتسجيله في جدول المحامين للاشتغال بالمحاماة ، ولكنه قطع هذا الاتجاه، وقرر السفر الى فرنسا ، وكان من برنامجه ان يحضر لدكتوراه فـي الحقوق ، الى جانب متابعته لهوايته الفنية ، وقـد اختار القانـون العام ، لانه اقرب الى الفن ، غير انه راح يقرأ ويفكر ، يدرس ويتأمل، وجذبته الكتب والمسارح والمتاحف والمعارض ، واستهواه ذلك الجـو الذي كان يفوح برائحة الفن .

اما رحلته الثانية ، فكانت في اوائل السبعينات ففي العام الفائت (١٩٧١) ركب الطائرة في اتجاه جنيف . يقول : « لم اشعر بوقت يمر للهبوط . لا مكان هنا للاسترخاء والتأمل على النحو الذي كنا نعرفه في البواخر البطيئة . في مثل هذه السرعة الخاطفة كيف يتأمل اذن اليوم المتأملون ؟! .. اغلب ظني ان التأمل والتفكير اليوم همـا مـن قبيل الموجات الكهربائية او الشحنـات المغناطيسية ، في حين كان تأملنـا وتفكيرنا في عهد الوقت البطيء هما مـن قبيل التوليدات المنطقيـة والمولدات البخارية » .

وسافر من سويسرا الى فرنسا ، لكـي يطالع وجهها في الوقت الحاضر ، ولم ينس ان يزور المنزل والحي الـذي كان يقيم بـه في باريس ، وبدا له كل شيء جديدا ، فقد تغير كـل شيء هناك الآن ، واصبح مغايرا لما كان في العشرينات ، وبالتالي بدا الفارق كبيرا بـين الماضي والحاضر .

لكن ، ترى ما هي صورة الوطن ، مصر ، في عيني توفيق الحكيم اثناء وجوده بعيدا عن ارضها الطيبة ؟.. يعبر كاتبنا الكبير عـن ذلـك بقوله : « عندما نفارق بلادنا ، فان صورتها لا تفارق عيوننا . وعندمـا كنت في عشرينات هذا القرن أقطن باريس في شارع « بلبور » هذا الذي ذهب اليوم رسمه وبقي اسمه ، كنت افتح نافذتي كل صباح ، فـلا ارى امامي باريس وحدها ، بل ارى ايضا مصر » . كما يقول : « ولم تزل الى اليوم ، والى الغد ، والى كل زمان جملة « يا حبيبتي يـا مصر » تعبر عن احساس كل جيل » . وفي موضع آخر يتحدث عـن مصر ، فيقول : « انها شيء عظيم جدا . ممتد في الزمن ، متعمق فـي الاثر ، ان ما نسميه « مصر » جسما وروحا وشخصية يشبه الانسان العظيم » .

تلك هي صورة الوطن في عيون ابنائه عندما يسافرون بعيدا عنه .

والواقع ، ان كاتبنا الكبير كان صادقا في التعبير عـن خواطـره وانطباعاته خلال رحلة الماضي ورحلة الحاضر .

وبالرغم من صغر حجم هذا الكتاب (١٤٢ صفحة مـن القطـع الصغير) الا انـه يمكـن ان نعتبره اضافة جديدة لادب الخواطـر والذكريات والرحلات .

مصر الجديدة — عبد الرحمن شلش